قصص عن

بهاء الله

اعداد
علي أكبر فروتن

ترجمة
د. نبيل مصطفى

مقدمة

كــان ذلك في اليــوم التاسع عشر من شــهر القــول 132 ب الموافق 11 ديسمبر/كانون الأول 1975 حين خطرت لهذا الخادم فكرة تجميع خواطر شخصية عن حياة الجمال الأبهى – **بهاء الله** - . ولحسن الحظ أن تلقى الفكرة استحسان الأصدقاء البهائيين بل وكل التشجيع منهم. أما الخطوة التالية الخاصة بالاتصال المباشر بالأفراد والأسرة الذين يُعتقد أن بحوزتهم مثل هذه القصص والمذكرات، فبواسطة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في إيران، قد تمت هذه الخطوة واستجاب العديد من الأحباء وقدموا ما بحوزتهم من مواد تتعلق بهذا الموضوع. وبعد دراسة وافية وفحص دقيق لهذه المذكرات، تمّ اختيار بعضها ودوِّن دون تغيير، والبعض الآخر لُخِّصَ وأُعيدت صياغته. أضف إلى ذلك، تلك الإشارة إلى العديد من الكتب والكتيبات – المنشور منها والذي لا يزال مخطوطاً- وذلك بهدف اختيار وتلخيص قصص أخرى وذكريات تتعلق بحياة الجمال المبارك.

ولا بد من التنويه هنا إلى أن الذين حظوا بالتشرف بمحضر بهاء الله عدة مرات، لم يدوّنوا ملاحظاتهم لأجل التاريخ إلا القليل منهم. وعليه، فإن إنجاز هذا التجميع لم يكن بالأمر الهيّن، ولا يمكن أن يكون شاملاً. ومع ذلك، يحدونا الأمل أن يقوم الأحباء في المستقبل ببذل مجهود يكمل هذا العمل بشكل أكثر دقة. وفي واقع الأمر، فإنه منذ الطبعة الأولى لهذه القصص عام 1978 تحت عنوان "**داستانهاي أز حيات عنصري جمال أقدس أبهى**"- لدار النشر البهائية في طهران- قد زيدت عليها مجموعة من القصص الأخرى المقدّمة بسخاء خلال العامين الماضيين.

كان بهاء الله يُعرف بين مَن حوله باسمه الأصلي **الميرزا حسين علي النوري.** وبعد إعلانه عام 1863 أنه المظهر الإلهي لهذا العصر الذي بشّر به **الباب،** أصبح يُعرف للبهائيين في العالم وفي صفحات التاريخ بلقب **بهاء الله.** ولدى الذين حظوا بلقائه فقد دعوه في مذكراتهم بألقابٍ من قبيل : الجمال الأبهى، جمال القدم، الكمال الأبهى،الجمال المبارك شأنهم شأن باقي الأحباء. وهناك الكثير من الألقاب وردت على لسان **ولي أمر الله** في كتابه" القرن البديع" الذي يحكي عن أحداث القرن الأول لهذا الدين، نقتطف منه الفقرة التالية: " إن الذي تلقّى العبء الفادح لهذا الظهور الفائق المجد، في مثل هذه الظروف المؤثرة، لم يكن سوى هذا الذي سوف تفتخر به الأجيال القادمة وتمجِّده، بل ويؤمن به اليوم أتباع يفوقون العدّ والحصر باعتباره قاضي الجنس البشري ومشرّعه ومخلِّصه، ومنظِّم الكوكب كله، وموحِّد بني الإنسان كلهم، وفاتح العصر الألفي المُرْتَجَى، ومُنْشِئُ (الكور العالمي) ، ومؤسس السلام الأعظم، ومنبع العدل الأعظم، ومعلن بلوغ النوع الإنساني سن الرشد، ومُبدع النظام العالمي الجديد، ومُلهِم الحضارة العالمية وخالقها". (ص 120)

نشاهد في هذه القصص المقامين اللـذيْن يحظيا بهما كل رسـول ومظهر إلهي. وفي كتابه الإيقــان، يصــفهما لنا بهــاء الله ب " أولهما مقــام صــرف التجريد وجوهر التفريد، وفي هذا المقام لو تدعُ الكل باسم واحد وتصفهم بوصف واحد فلا بأس في ذلك... لأنهم جميعاً يدعون الناس إلى توحيد الله ويبشرونهم بكوثر الفيض والفضل الذي لا يتناهى، وكلهم فائزون بخِلْعَةِ النبـوّة ومفتخـرون بـرداء المكرمة". (الإيقان الطبعة الثالثة ص 120)

إن ما كان يبديه صحابته والحـاجّون لبهـاء الله من مظـاهر الاحـترام والتبجيـل، يجعلنا ندرك مدى وعْيِهم بالمقام الإلهي الذي يُسْبِغُهُ الله على رسله المختارين. وفي عديد الأوصاف الباهرة لبهاء الله حين نزول الكلمـات الإلهية في الصـلوات والآيات والألواح المباركة، نلمح تلك العظمة والجبروت الفائض منه ثم المحويّة الصِّرفة ... في أمر لا أملك نفسي في السّرّاء والضّرّاء ولا في حيـاتي ذاتها في حضور"مالك الأسماء وفاطر السماء" (لوح ابن الذئب والصلاة الكبرى)

وثَمَّةَ دليل آخر على مقامه الــذي يجمعه بالرسل الســابقين نجــده في أحاديثه التي تنُمُّ عن علم لدنّي لم يعرف الاتصال بالمعارف الدنيوية، بحيث كـان يعلم، بكل بساطة ودون مجهـود وعلى الفـور، بما يـدور في أفكارنا أو ما يحـدث في مكان آخر. وهذا ما يوضّحه لنا ابنه **عبد البهـاء** في كتـاب "من مفاوضـات عبد البهـاء" نقتطف منه السـطور التاليـة: "... ولمّا كـانت حقـائق المظـاهر الكلية الإلهية المقدسة محيطة بالكائنـات من حيث الـذات والصـفات، ومتفوِّقة عليها وملمَّة بالحقائق الموجودة ومطّلعة على جميع الأشياء، فلهذا كان علمهم علمـاً إلهياً لا اكتسابياً، أي فيضاً قدسياً وانكشافاً رحمانياً". (مختـارات من كتـاب مفاوضـات عبد البهاء ص 104)

وخلاصة القول فإن هناك شواهد عدّة في تلك القصص على قوة أخرى يشـترك فيها جميع مَن يختـارهم الله والـتي يصـفها عبـدالبهاء أيضـاً ب" إن المظـاهر المقدّسة الإلهية هم مصادر المعجزات ومظاهر الآثار العجيبة، فكل أمر مشكل وغير ممكن يصير ممكناً وجـائزاً بالنسـبة إليهم، لأنه بقـوة خارقة للعـادة يظهر منهم خارق العادة، وبقـدرة ما وراء الطبيعة يـؤثّرون في عـالم الطبيعة ... في حين أن المظاهر الإلهية لا يعلّقون على تلك المعجزات وعلى تلك الآثار العجيبة أية أهمية ... لأننا لو اعتبرناها أعظم برهـــان على صـــدقهم لكـــان ذلك حجّة وبرهاناً بالنسبة لمن كان موجوداً وشهِد المعجزات دون سواه... ".
(مختارات من كتاب مفاوضات عبد البهاء ص 63)

والمقــام الثــاني الــذي يظهر جليّــاً في هــذه القصص مقــام هيكل البشــرية وهو"مقـام التفصـيل ومقـام عـالم الخَلْق ورتبة الحـدودات البشـرية. ففي هـذا المقـــام لكل واحد منهم هيكل معيّن، وأمر مقـــرر وظهـــور مقـــدّر وحـــدود مخصوصة".
(الإيقان- الطبعة الثالثة ص 140)

وبـالرغم من أن بهـاء الله كـان يملك من العظمة والهيمنة والاقتـدار ما يفـوق الخيال، فإنه كـان مع زائريه وصحابته على درجة من الرحمة والمحبة والدُّعابة والبساطة تحرّك مشاعرنا وتغذّي أرواحنا. وكأبٍ حنون ترعرع أنجاله في حضن اللطافة والرعاية طبقـــاً لمســـتوى كل منهم من الإدراك والقـــدرة والطاقة الروحانية. ولم يُحرَم أي شخص من تلك العنايات والألطاف.

يُغْدِقُ من عناياته وألطافه على كل روحٍ
ما يحسبه المرء أنه الربُّ له وحده

حقّاً، إن كلمـات الجمـال المبـارك في كتابه الإيقـان لهي أفضل وصف لمقامه هذا :

" ... وكنت مع كل إنسان صديقاً بمنتهى المحبة، ورفيقاً بغاية الرأفة والشفقة. كنت مع الفقراء مثل الفقراء، ومع العلماء والعظماء بكمـال التسـليم والرضـا".

(الإيقان – الطبعة الثالثة ص 200)

شكر وتقدير

إن ما ورد في صفحات الكتاب من أقوال منسوبة **لبهـاء الله** لا يمكن اعتبارها نصوصاً مباشرة، بل ما تذكّره ودوّنه بعض الحجاج الزائـرين وأشـخاص آخـرون من أقــوال حضـرته. إن المشــهد التـاريخي وسـيرة حيـاة بهـاء الله الزاخــرة بالأحداث منذ ولادته في طهران عـام 1817 م وحـتى صـعوده في قصر البهجة قرب سجن عكاء عام 1892 م ، وتلك المشـيئة الـتي قضت بنقل حضـرته من بحبوحة الثراء والرّخاء إلى سجنه المفاجئ بكل اعتساف في ظُلمةِ سجن سياه جال بطهران وقذارته، ثم بنفيٍ دائميٍّ من أرض مهده عام 1853 م إلى بغداد، حيث أعلن دعوته في حديقة الرضوان عام 1863م، عشية نفيه مرة أخرى إلى الأطــراف الغربية للامبراطورية العثمانية في أدرنـــه، واطّراد الإبعــاد نفيــاً إلى السجن الأعظم عام 1868 م ، كل هذه الأحـداث تقع خـارج هـذا التجميـع، إلاّ أنها دُوِّنت في كتب أخرى عديدة أهمها القرن البديع بقلم ولي أمر الله، وكذلك في القصِّ الفريد الـذي دوّنه "نبيل أعظم" الـذي نشر بعضه في كتـاب "مطـالع الأنوار" ، علماً بـأن الكثـير مما يخص بهـاء الله منها لم يُنشر أو نجـده في كتب أكـثر حداثة وفي مُسْـردِ المخطوطـات لأولئك القـارئين باللغة الإنكليزية الـذين يرغبون في تخيُّل تلك القصص في ظروفها الأصلية.

وإلى أولئك الــذين ســاهموا في هــذا التجميع بأرســال القصص من مــذكرات ذويهم، أقدم شكري وامتناني ذاكراً إياهم بالاسم ومؤكداً لهم بأن الدعوات في العتبات المقدسة قد شملتهم:

أبو القاسم أفنان – أحمد أسبقي – د. أمين جذاب – د. عطا لله نديمي شيرازي – عطا الله نطقي – عطا الله سيروس – فريدون رحيمي – حـبيب طـاهرزاده –

عزت طبيبي نجف آبادي – جلال نخجواني – جلال نطقي(همـايوني) – د. مهـدي سمندري.
وتقـديري العميق أيضـاً ل كتـايون وروبـرت كريـرار على تـرجمتهم الدقيقة من الفارسية إلى الإنكليزية.

لقد ثُبِّت مصـدر كل قصة في نهايتهـا، أكـان مَن قـدّمها أو كتبهـا، ثم وضـعت تفاصيل المصادر المنشورة في قائمة المراجع. وما يجدر ذكـره، فـإن القصص التي نُسبت إلى نبيل أعظم هي التي لم تُنشر من كتاباته.

على أكبر فروتن

مقدمة المترجم

كان هذا التجميع باللغة الإنكليزية بين أيدينا منذ عدة سـنوات ، وكنا في مجالاتنا العربية نأخذ منه قصة أو أكثر لمناسبة ما ، ولم يكن هنـاك تفكـير جَـدّي لإيجـاد نسخة عربية لهذه القصص الشيِّقة التي تعبِّر كل واحدة منها عن لون من ألوان حيـاة بهـاء اللـه. وشـعرت عند قراءتها بـأن بهـاء الله كـان أولاً وقبل كل شئ إنســاناً. فالقصص تحكي لنا عن لمســات من حياته وكأنها لمســات أي إنســان عاديّ. فكان حضرته يأكل ويشرب ويتنزّه ، وكان أحيانـاً فرحـاً مبتهجـاً وأحيانـاً أخرى تحت وِزْر الهموم والأحـزان والأسـى. رأينـاه ينعم بحيـاة هادئة ناعمة في قصر البهجة والحدائق المحيطة بـه، ورأينـاه يقف صـابراً شـامخاً أمـام قسـوة الحياة وهجمات الأشرار.

عرفناه طبّياً سخياً بماله ومحبّته واهتمامه، وعرفناه حكيماً مرشداً صائباً يقـود دفّة أمور أحبّائه والملتفّين حوله ويعاشر الملأ من بهائيين وغير بهائيين بكل رَوْحٍ وريحــان. قرأنا نــوادره اللطيفة ولمســات خلقه الكــريم، وتعلّمنا من ســيرته ومعاملاته مع النـاس القِيَم والمُثُل العليا والمشـاعر المرهفة والتضـحية للغـير والقناعة بأبسط لوازم الحياة من مأكل ومشرب ولباس ومأوى.

عرفنـاه أبـاً وعرفنـاه صـديقاً لكل طفل في محضـره الكـريم يـداعبهم ويقابل تصرفاتهم الطفولية بالمحبة والاعجاب وكأنها خير ما ينتظر منهم. يقابل شـقاوة الأطفال بالمزاح والدعابة والمحبة اللطيفة . رأيناه يقـرأ ما في تمنيـات الأفـراد وأحلامهم دون أي ذكر منهم، ثم يشـــملهم برعايته وعناياته فيجيب طلبـــاتهم ويحقق لهم أمنياتهم ويجيب عن تساؤلاتهم ويخفف من حيرتهم بكل ما يرضيهم ويحقق ما بخاطرهم. فكان كل من يحظى بمحضره الكريم يشـعر وكأنه الوحيد الذي يحظى باهتمامه الكريم.

عرفنا تواضع حضرته الكريم ولمسنا عظمته وسلطانه وجلال محضره. لهـذا كله شعرت بضرورة أن يكون هذا التجميع بين أيدينا باللغة العربية لننهل منه جميعـاً صغارا وكباراً ولو بقطرة أو بقصة واحدة في أي أوان. ولهـذا حرصت أن تكـون الترجمة مطابقة قدر الإمكان للأصل الإنكلـيزي، ووددت ألا أضـيف إلى الألـوان المعروضة في كل قصة حيث كان الإغراء أحياناً أن أزيد قليلاً بشرح لملابسـات قد يعرفها من اطّلع على هذه الحقبة من تاريخ الأمر المبارك. وإنــني على يقين بأن هذه القصص ستكون مادة تُدرّس لأطفالنا الأعزاء حـتى يقفـوا على ما فيها من دروس وعِـــبر. فلم أســـمح لنفسي بـــأن أزيد كلمة واحـــدة على الأصل الإنكليزي إلا بالقدر المسموح به للترجمة فقـط. وعليه ، فالفرصة سـانحة لكل من يقــرأ هــذه القصص أن يســرح بخياله ليصـوِر لنفسه ظـروف تلك الفقـرة وألوان الحياة في تلك الأماكن وفي تلك الحقبة من الزمن.

إن كل قصة هنا تصلح أن تكون مدخلاً لنقاش أو حـوار أو دراسة جميلة لمبـادئ بهـاء الله ، خاصة لـدروس الأطفـال أو جلسـات التبلّيغ . إنها التطـبيق العملي لمبادئ تعاليم أمرنا المبا رك.

ختاما أرجو الصــفح إذا كــانت الترجمة دون أرقى المســتويات ، وكل ما أقوله دفاعاً هو أني قمت بهذا العمل وكلي شوق لإتمامه وتقديمه للقارئ طامحاً في سماحته وغض النظر عن أي تقصير.

لقد تعمدت ألا أقدم بهاء الله وعبد البهاء بكلمة "حضرة" كما اعتدنا في مجالاتنا العربية والفارســية، وذلك لأنــني على يقين بــأن لقب بهــاء الله كفيل بوصف عظمته وجلاله ووصف عبد البهـاء إنما يعبِّر عن أسـمى ما يتـوق إليه مركز عهد بهاء الله وميثاقه والمثل الأعلى لتعاليمه المباركة.

ولا يفوتني أخـيراً أن أشـكر جميع من شـجعني على هـذا العمل خاصة من قـام بطباعة ترجمتي الخطية أو المسجلة ، وهما الشابتان اليافعتان السـيدة فرحنـاز محمدي والآنسه عبير عبد الله. فـأرجو لهما مزيـداً من التأييد والنجـاح في ظل أمرنا المقدس.

المترجم
د نبيل محمد مصطفى

الفصل الأول

طفولة بهاء الله وباكورة حياته
1817 – 1843 م

-1-

يروي لنا عبد البهاء القصص التالية عن طفولة بهاء الله وشبابه :
تعلقت به والدته تعلقاً شديداً بحيث لم يكن يهدّئُ رَوْعَها من الحيرة في أطواره المباركة ، فكانت تقول مثلاً إن هذا الطفل لا يبكي أبداً ولا يصدر منه ما يصدر عادة من الأطفال الرضَّع كالعويل والصراخ والبكاء والجزع وعدم القرار.

-2-

ولما كان في سن الخامسة أو السادسة، رأى الجمال المبارك حلماً شرحه لوالده، حيث وجد نفسه في حديقة ولاحظ أن طيوراً ضخمة تهاجم رأسه من كل الجهات ، ولكنها عاجزة عن إيذائه. وبعد ذلك ذهب إلى البحر ، وبينما كان يسبح، أخذت طيور الفلا وأسماك البحر في مهاجمته إلا أنها لم تصبه بأذى أيضاً. طلب والده مفسراً للأحلام لمعرفة تفسيره ، فأخبره المفسّر أن هذا الحلم دليل على أن هذا الطفل سوف يصبح مصدر أمر عظيم الشأن، وأن جميع رؤساء العالم وعلمائه سوف يهاجموه كما هاجمته الطيور والأسماك، إلا أنه في مأمن من أذيتهم وسيتغلّب عليهم جميعاً.

– 3 –

ذات يوم عندما كان الجمال المبارك في السابعة من عمره، ألقت والدته نظرة شاخصة إلى قامته الجميلة وهو يتمشّى ثم قالت "إنها قصيرة بعض الشئ" ولكن والده أجاب" إنه ليس بالأمر الهام، ألا تدرين مدى استعداده وقابليته ودرجة فِطنته وذكائه؟ إنه شعلة من نار، وفي هذا العمر فإنه يمتاز عن الشباب اليافعين".
وكل المسائل المعضلة التي يعجز المتباحثون عن حلّها، كان الجمال المبارك الشابّ يقدم الحل.

(إشراق خاوري ص 62 ، 65 ، 67)

– 4 –

في ثلاث مناسبات لاحظ الجمال المبارك، وهو بعدُ في سن الطفولة، أن أحد جُباة الضرائب دَرّج على معاملة والده بأسلوب جائر قاسٍ في تحصيل الضرائب منه، فلم يستطع تحمّل هذا الظلم ، مما حداه أن يمتطي جواده ويذهب إلى طهران في رحلة دامت يومين ، وهناك أفلح في مسعاه في فصل هذا الجابي الظالم المغتصب، ونجح في الحصول على الأوراق اللازمة لفصله وقَفَل راجعاً إلى والديه.

(من مذكرات د . ضيا بغدادي غير المنشورة نقلاً عما سمعه من عبد البهاء)

- 5 –

ذات يوم كان الجمال المبارك، وهو في صباه، يحضر جمعاً دُعي إليه الميرزا نزار علي، المرشد الصوفي ، صاحب مكانة مرموقة في بلاط محمد شاه تفوق مكانة رئيس الوزراء نفسه الحاجي ميرزا أقاسي. في ذلك الجمع أخذ الميرزا نزار علي زمام الحديث إلى أن وصل إلى نقطة قال فيها: سأكون آخر من يتبوّأ هذه المكانة من العلم الخفيّ. إن سلسلة مَن اعتلاها من العظماء سوف تنتهي إليّ، لأنني نلت درجة من التسليم والإذعان بحيث لو يظهر المسيح بنفسه فجأة في مدخل الباب لَمّا تغيّر حالي في شئ.

حرّك الحاضرون رءوسهم وهمهموا تعبيراً عن تأييدهم لما قاله عدا بهاء الله الذي خاطب المتحدث قائلاً:" يا جناب الحكيم، سأسألك سؤالاً أريدك أن تجيب عنه بكل صدق. لو أُزيحت هذه الستارة فجأة ودخل جلاّد الدولة ممسكاً بالسيف ومتوجّهاً إليك، فهل سيؤثّر على رباطة جأشك؟ مرّت فترة من التفكير ثم أجاب ميرزا نزار علي: نعم حتماً سيؤثّر فيّ . فأجابه بهاء الله " إذا كان الأمر كذلك فلا يجدر بك أن تدّعي ما ادّعيت"

(نبيل)

- 6 –

في يالرود بمقاطعة مازندران كان يقطن مجتهد مشهور يدعى شيخ محمد تقي يجمع حوله زهاء الألف من المجتهدين في المسائل الإلهية، حيث كان يعلّمهم ويواجههم أحياناً بمشاكل معضلة لحلّها. وذات مساء، وهو بين بعض تلامذته، سألهم الشيخ تفسير أحد الأحاديث النبوية. فاجتهدوا في تقديم العديد من الآراء التي لم ترُقْ له . ولمّا كان بهاء الله قد اعتاد أن يتوقف في يالرود أحياناً وتربطه بالمجتهد صلة قرابة، صادف أن كان حضرته بين ذلك الجمع، فطلب منه المجتهد أن يقدّم شرحاً لهذا الحديث ففعل، مما أبقى المجتهد العظيم صامتاً مندهشاً. وفي اليوم التالي أخذ المجتهد في توبيخ تلامذته قائلاً: لقد علّمتكم ورعيتكم قرابة الخمس وعشرين سنة ومع ذلك عجزتم تماماً عن فكّ رموز هذا الحديث، بينما ذلك الشاب غير المعمم قد جاء بهذا الشرح والتفسير الرائع.

(إشراق خاوري ص 65 – 66)

- 7 –

كان جمال القدم يملك عزبة في قرية **كوش هزار** قرب طهران التي اشتهرت بطقسها الجميل. وذات يوم، بينما كان رئيس الوزراء ميرزا أقاسي مارّاً بتلك القرية، شدّه جمال العزبة لدرجة أنه طلب من بهاء الله أن يبيعها له. فأجابه بهاء الله : لو كنت مالكها الوحيد لأجبت طلبك بكل سرور. فهذا العالم، ولا أقله تلك القرية الصغيرة، لا يساوي في نظري شيئاً، وليس لي أي تعلّق به. إلا أن هناك آخرين ومنهم القُصّر يشاركونني إياها، فلْتتشاور معهم في مقصدك فإن وافقوا أجبناك إلى طلبك.

(نبيل أعظم ص 83 – 84)

- 8 –

قبل إعلان دعوة الباب عام 1844 م كان بهاء الله يقيم في طهران، وفي أشهر الصيف غالباً ما كان يذهب إلى **مرغ محلة** في شميران أو إلى **تاكور** في نور. وفي إحدى السنين قضى شهور الصيف في حديقة بمرغ محله

تسمى حديقة **الحاج بـاقر** مقيمـاً في مـنزل من ثلاثة أدوار يطل على بحـيرة صـغيرة يتوسـطها رصـيف صـخري تحيط به الأعشـاب. جـرت العـادة في بعض الأوقات أن تُنْصب في وسط المكان خيمـة، ويتجمع حـوالي المائة والخمسـين من الأصدقاء حولها، وكثيراً ما كان الجمال المبارك يتحدث عن هذا المكان .
(لوح عبد البهاء إلى بشير إلهي في 16 ذي الحجة 1337 ه)

الفصل الثاني

تجاربه وهو بابي ثم نفيه من إيران
1844 – 1853

- 9 -

بعد إعلان البـاب دعوته بفـترة قصـيرة، أخذ الجمـال المبـارك على عاتقه تبليغ الـدعوة الجديـدة إلى النـاس في مازنـدران. ففي **داركلا** أرسل أحد العلمـاء المتنفّذين في تلك المقاطعة اثـنين من أنجب تلامذته وكانا أيضا صـهريْه، حـتى يجتمعا ببهـاء الله ويتحـدّوه في تعاليمـه. ولكن ما أن اسـتمعا إلى حديثه في الاجتماع الأول حتى أسرتهم كلماته، ووضعا نفسيهما في خدمته ولم يرجعا إلى معلمهمـا. شـاع بسـرعة في أنحـاء المقاطعة نبـأ تحوُّلهما مما كـان له الأثر في اعتناق الكثيرين أمر الباب.
(النبيل الاعظم ص 79)

- 10 -

في **بدشت** نزل الأتباع الواحد والثمانون الذين تجمّعوا للمؤتمر، نزلـوا ضـيوفاً على جمال القدم منذ وصـولهم في اليـوم الأول إلى حين تفرقـوا بعد المـؤتمر، ولم يسمح لأحد في المساهمة بما يخص إقامته.
(النبيل الاعظم ص 211)

- 11 -

كان بهاء الله في طريقه لزيارة البابيين المحاصرين في قلعة الشـيخ **طبرسي** ومعه بعض صـحابته منهم ملا بـاقر التـبريزي والحـاج مـيرزا جـاني من كاشـان وميرزا يحيى أخوه غـير الشـقيق. وفي إحـدى الأمسـيات ، بينما هم في **آمُل** ، إذا برجـال الحكومة تلقي القبض عليهم وتحتجـزهم. ارتفعت أصـوات العلمـاء مطالبة بإعدامهم مما اضطر حاكم المنطقة، بعد أن شعر بالحرج الشـديد، أن يُبعد الجماهير المحتشدة عنهم ريثما يحضر الحاكم العـام، فـأمر بجلـدهم. وهنا تدخّل بهاء الله قائلاً : هؤلاء رفاقي ولا لوم عليهم، فلتعاقبني عنهم. وهكذا جُلِد الجمال المبارك على قدميه بكل قسوة إلى أن أدميتا.
(النبيل الاعظم ص 265 – 268)

_12_

ذات يوم في طهران، وجّه رئيس الـوزراء المـيرزا تقي خـان سـؤالاً لبهـاء الله عن معنى الآية" **ولا رطب ولا يابس إلا في كتـاب مـبين"** قـرآن كـريم – الأنعـام 59 . فأجابه بهـاء الله : هـذا يعـني أن كل شئ يحويه القـرآن الكـريم . فسأله رئيس الوزراء عن أي ذكر له (أي لرئيس الـوزراء) في القـرآن ، فأجابه بهاء الله : نعم حين يذكر "**قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيـا"** وهنا انزعج ميرزا تقي خان من مضمون المعنى ولكنه لم يُظهر غضبه، واستمر في الحديث قائلاً : ومـاذا عن والـدي ؟ . أجابه حضـرة بهـاء الله بالآية القائلة " **إن الله قد عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار** " سورة آل عمـران 183 . ثـارت ثـائرة مـيرزا تقي خـان، ذلك لأن والـده كـان طاهياً للقائمقام واسمه قربان ويعمل بالنار .

(النبيل الاعظم)

_ 13 _

روى لنا الجمال المبـارك أنه في أحد الأيـام أعـرب الأمـير نظـام عن رغبته في زيارتنا، وأثناء الزيـارة قـال بأسـلوب ودّي: إنـني على يقين أنه لـولا مسـاعدتك الملا حسين وأتباع الباب الآخرين الذي احتُجِـزوا في قلعة الشـيخ طبرسي ، لما كان بمقدورهم مقاومة قوات الحكومة مـدة سـبعة أشـهر ، ومع ذلك لم نتفهّم الدافع وراء مشـاركتك تلـك، ومن المؤسف أن الشـاه والبلاد لم يسـتفيدوا من مواهبك العظيمة، ولذلك خطرت ببـالي فكـرة وهي : عنـدما يغـادر الشـاه إلى أصــفهان ، فمن المستحسن أن تمكث فــترة في الأمــاكن المقدسة في نجف وكــربلاء، وفي نيّــتي بعد رجــوع الشــاه أن أعهد إليك بمنصب وزاري. رفض الجمال المبارك بكل أدب أي منصب حكومي، وقَبِل الاقـتراح بالسـفر. وبالفعل سافر إلى كربلاء بعد عدة أيام.

(النبيل الاعظم ص 434)

_ 14 _

انتقل الشيخ حسن الزنوزي بسكناه إلى كربلاء، وهو أحد البابيين الأوائل، على أثر كلمات وجهها له الباب قائلاً" لا بدّ أن تسـافر إلى كـربلاء وتقيم فيها إلى أن تشـاهد بـأمّ عينيك جمـال الموعـود **حسـين،** وفي تلك اللحظة اذكـرني وبلّغه محبتي المتفانية .

عمل الشـيخ حسن في كـربلاء كاتبـاً ليكسب قـوت يومـه، وذات يـوم (في 5 أكتـوبر/ تشـرين الأول 1851) وبينما كـان مـارّاً بالبوابة الداخلية لمقـام الإمـام الحسين ، شاهد الجمال المبارك لأول مرة. التفت اليه حضـرته ثم أمسك بيـده بغاية اللطف والمحبة وخاطبه بنبرة فيها الطلاوة والقوة قائلاً" إن نيّتي في هـذا اليوم بالذات أن أجعلك بابياً معروفاً لدى كـربلاء بأكملهـا. واسـتمر حضـرته في التكلم مع الشيخ حسن بينما كانا يسـيران نحو السـوق، إلى أن قـال له فجـأة" اشـكر الله على مكوثك في كـربلاء فشـاهدت بعينيك جمـال الموعـود حسـين . وهنا سـرت في أوصـاله الرهبة وتـذكَّر الشـيخ حسن وعد البـاب له ، فغمرته فرحة استطاع بالكاد أن يكبح فيها جِماح عواطفه.

(النبيل الاعظم ص 24- 25)

_ 15 _

تمرّ بخاطر بهائيه خـانم ، ابنة بهـاء الّله ، ذكريـات يـوم أن كـانت في السادسة من عمرها فتقول: كنا في منزلنا بالقرية، وكان والدي مغادراً البيت حين حاول الشاب البابي ، شبه المختل عقلياً، أن يغتـال الشـاه. فجـأة دخل أحد الخـدام مضطرباً وقال لوالدتي باكياً: سيدي سيدي قبضوا عليه، وشاهدته يمشي عــدة أميال حافي القدمين تسيل منهما الدماء، وقاموا بضربه ومزّقوا ثيابه وأحــاطوا عنقه بالسلاسل.

ازداد وجه والدتي شحوباً، وانتابتنا نحن الأطفال مشاعر الرعب الشديد وأخـذنا في البكاء بكل مرارة .

(بلومفيلد ص 40-41)

_ 16 _

بينما كانوا يقتـادون الجمـال المبـارك من **زركنده** في شـميران (مصـيف يقع شمالي طهران) إلى سجن سياه جال، كان حضرته هـدفاً للسـخرية والإسـاءة، فقد كـان يُـرْمَى بالحجـارة والعِصِـيِّ وبكل ما ملكت أيـدي الغوغـائيين الـذين اصطفوا على جانبيّ الطريـق، ومن ضـمنهم امـرأة عجـوز كـانت تمسك بيـدها حجراً ولا تقوى على اللحاق بـالركْب، فـرجت الحـراس ألا يحرموها من نيل ما ينتظرها من ثـواب . شـاهدها بهـاء الله وطلب من الحـراس أن يسـمحوا لتلك العجوز من نيل مرادها.

(النبيل الاعظم ص 444-445)

_ 17 _

في أحد ألواحه يذكر عبد البهاء الحادثة التالية باختصار:

حين قام جمال القدم برحلته الأولى إلى بغـداد عـام 1851 ، حظي بمحضـره الأنور شاب يدعى عبد الوهاب ، أحد البابيين الثابتين، وطلب من بهاء الله أن يهدي والده الحـاج عبد المجيد ، والـذي آمن بعد ذلك بمجـرد حضـوره بين يـدي بهاء الله. وعندما عزم حضرته على العودة إلى طهران أظهر عبد الوهــاب توقه لمصاحبته، إلا أن حضرته أوصاه قائلاً: بما أنك الابن الوحيد فيتحتم عليك البقـاء مع والدك، ويُحتَسَب ذلك كأنك معي في رحلتي.

لم يكد يمر وقت قصـير على مغـادرة بهـاء الله إلى طهـران حـتى شـعر عبد الوهـاب بالاضـطراب وعـدم الارتيـاح. ولما أدرك الوالد سـبب اضـطراب ابنه خاطبه قـائلاً : رغم أنـني لا أطيق البعـاد عنك ولو لحظـة، فليس بمقـدوري أن أكبت حماسـتك وتلهفـك، فيمكنك التوجّه إلى طهـران حـالاً. وصل الشـاب إلى طهران في غاية السـرور والغبطـة، وكـان ذلك بعد محاولة الاعتـداء على حيـاة الشاه بقليـل، فقُبض عليه فـور وصـوله المدينة وكُبِّل بـالأغلال في سـياه جـال ووجد نفسه في محضر جمـال القـدم هنـاك. وما هي إلا أيـام قلائل حـتى جـاء الجلاّد ليقتــاده إلى ميــدان الشــهادة، فنهض ذلك الشــاب العاشق وقبّل يــدي الجمال الأبهى وودّع الأحباء المسجونين ومشى راقصاً إلى مقـرّ الشـهادة. ولما وصلت أنباء هذه المأساة إلى مسامع والده عبد المجيد ، سجد شاكراً بأن ولده كان قرباناً في سبيل الله.

(مكاتيب عبد البهاء ص 407)

_ 18 _

آمن عباس بالباب ، وكان خادماً للحاج سليمان خان ذي النفوذ الكبير، وهو الذي استشهد بعد أن وضعت الشموع المحترقة في ثقوب بجسمه. إلا أن عباس هذا قد خان سيده بعد ذلك، وأخذ يوجّه التهمة للناس بأنهم بابيون أكان يعرفهم أم لا. وما كان عليه إلاّ أن يقول : شاهدت فلاناً في منزل الباب، إفتراءً أم حقيقةً، حتى يكون كافياً لدفع فدية كبيرة للافراج عنه أو يتم إعدامه.

ولما كان بهاء الله في سجن سياه جال، أصرّت الحكومة على إرسال عباس إلى السجن ليشير إلى بهاء الله ويشهد بأنه وراء محاولة اغتيال ناصر الدين شاه ، وأكّدت السلطات له ما إن يفعل ذلك ستمنحه والدة الشاه جائزة بالإضافة إلى ثوب الشرف وتعيينه ضمن أمنائها الخاصّين.

أُخِذ عباس إلى السجن مرات عدة، وكلما وقعت عيناه على الجمال المبارك، ما كان بوسعه إلا أن يفركهما ثم ينظر مرة أخرى متأمِّلاً ويقسم بأن عينيه لم تقعا أبداً على هذه الشخصية من قبل.

(النبيل الاعظم ص 464 – 465)

_ 19 _

في أحد الأيام أحضرت صينية كباب من لحم الضأن أرسلت بالنيابة عن ناصر الدين شاه إلى السجناء في سياه جال حيث كان بهاء الله، فانتظر أصحاب الجمال المبارك إذنه قبل تناول حصَّتهم، ولكنه بدل ذلك أعاد الهدية وسلَّمها للحراس، ولم يُبدِ أحد رغبة في الطعام سوى الميرزا حسين القمي. فالكل أذعنوا لقرار بهاء الله رغم وضعهم المؤلم.

(النبيل الاعظم)

_ 20 _

يروي لنا عبد البهاء القصة التالية أيام طفولته:

عندما كان الجمال المبارك مسجوناً (في سياه جال) أصرّيْت على أخذي لأراه، وأخيراً اصطحبني أحد الخدام . وهناك، وبعد أن أشار الحراس إلى مكان الحبس، حملني الخادم على كتفيه واستطعت أن أشاهد الدِّهليز المدرّج شديد الانحدار المؤدي إلى الحفرة المظلمة. دخلنا باباً صغيراً ونزلنا درجتين، وسرعان ما فقدنا الرؤية . وبينما نحن في منتصف الدهليز إذا بصوت الجمال المبارك يصل إلى أسماعنا فجأة قائلاً :" لا تُحْضِرْه إلى هنا". وهكذا رجعنا وبقينا حتى خروج السجناء إلى الساحة . وفجأة أحضروا الجمال المبارك الذي كان موثوقاً بالسلاسل مع الآخرين، وأية سلسلة مخيفة كانت؟! ، فلم يكد يقوى حضرته على الحراك لثقلها. كانت لحظة قاسية تمزق نياط القلب.

(زرقاني ج2 ص 206)

_ 21 _

ومن مذكرات بهائية خانم:

في سجنه بسياه جال بلغ الجمال الأبهى درجة من المرض والإعياء بحيث أصبح غير قادر على تناول الطعام الغليظ مما جعل والدتي شديدة القلق عليه. وخلال الرحلة القاسية إلى بغداد عقب الإفراج عنه، كانت دائماً تحاول بكل الوسائل توفير الطعام المناسب له. وذات يوم استطاعت الحصول على قليل من

الدقيق، وفي المساء أعدّت له كعكة محلاّة . ولكن يا للأسـف، فبسـبب الظلام وضعت ملحاً بدل السكرواصبحت الكعكة لا تصلح للأكل.
(بلومفيلد ص 46 – 49)

_ 22 _

في شهر أغسطس / آب 1915 ذكر لنا عبد البهاء في أحاديثه القصة التالية:
من بين ما تركوه لنا سُبْحة للجمـال الأبهى كـانت من اللؤلؤ ومن أقْيَم ما لديـه. كـانت تثمَّن بعشـرة آلاف تومـان في تلك الأيـام . وكل لؤلـؤة فيها بحجم حبة البندق مرصَـعة في وسـطها بـالزمرُّد. ولما نُهِبت ممتلكاتنا اضـطررنا إلى رهنها مقابل ألف تومان. ومع المدة تـراكمت الفوائد حـتى أصـبحنا غـير قـادرين على اسـترداد السـبحة، فلو كـانت موجـودة الآن لحصـلنا على مائة ألف تومـان في باريس.
وثَمّة شئ آخر ثمين كان بحوزة الجمال المبـارك وهوكتـاب" حافـظ" مخطوطـاً بخط يد مير عمـاد، وقد أرسل محمد شـاه يسـأل عن ثمن ذلك الكتـاب فأجابه الجمــال الأبهى" إن الكتــاب يضم اثــني عشر ألف بيت من الشــعر، وكل واحد يساوي أشرفاً واحداً (والأشرف هو عملة ذهبية)، لـذلك فـإن الكتـاب يسـاوي اثني عشر ألف أشرفٍ. فكان جواب محمد شـاه " بمقـدورنا تجهـيز فيلقين من الجنود بهذا المبلغ. وهنـاك مُـدَّخر آخر ثمين من مقتنيـات الجمـال المبـارك وهو دعاء كميل بخط يد الإمام علي بن أبي طالب بالخط الكـوفي الجميـل، والـذي شَـهِد عليه علمـاء ذلك العصر ومنهم مـير عمـاد، بأنه على درجة من القيمة لا تقدرِ بثمن. كانت بحوزتنا كميـات كبـيرة من المجـوهرات وأشـياء أخـرى ثمينـة، وكلها ضاع. وصلنا بغداد ونحن لا نملك شيئاً بعد أن كنا في ذلك الثراء.
(النبيل الاعظم)

الفصل الثالث

الإقامة في بغداد والسليمانية
1853 _ 1863

وصل بهاء الله إلى بغداد في 8 إبريل/ نيسان 1853 بعد رحلة من إيـران دامت ثلاثة أشهر في برد الشتاء القارس مع أفراد عائلته. والقصص التالية تنسب إلى فـترة إقامته هنـاك لمـدة عشر سـنوات، وتشـمل فـترة اعتكافه بالسـليمانية بكردستان من أبريل/ نيسـان 1854 – مـارس/ آذار 1856 ، حيث عـاش فيها درويشاً.

_ 23 _

في إحـدى المناسـبات وصـفت بهائيه خـانم، الورقة المباركة العليـا، وضعهم في بغداد كما يلي:

رغم المخـاطر والمصـاعب الـتي كابـدتها والـدتي آسـيه خـانم بحالتها الصـحية الضـعيفة، كـان عليها أن تعمل فـوق طاقتهـا، مما كـان يُشـعِر والـدي بـالحزن الشـديد عليهـا، وأحيانـاً كـان يسـاعدها في الطهي قبل اعتكافه بالسـليمانية وبعده. وفي جميع الظروف كان عمّي أقا كليم ذلك العون والسـاهر على راحتنا أيضاً .

(بلومفيلد ص 47)

_ 24 _

يُعتبر ميرزا محمد تقي، وهو أحد أتباع البـاب الأوائل ، شخصـاً له مكانته العالية في نيريز. في تلك البلدة، وبعد انتفاضتها الثانية، قاسى محمد تقي من التعذيب وضُرب ضرباً مبرحاً حتى غدا غير قادر على الحراك، وبالكاد اسـتطاع أن يزحف بجسمه إلى خارج نيريز ليسقط جثة هامدة كأنها بلا روح ثم غـطّ في نوم عميق. وقد روى لنا القصة التالية:

بينما كنت غارقـاً في النـوم حلمت بجمـال القـدم رغم أنـني لم أره من قبـل، ولكنـني كنت على يقين بأنه هو ويقطن في بغـداد. خـاطبني بهـذه الكلمـات: بالرغم مما أصابك من أذى، شملناك بحمايتنا حتى تبقى حيّاً، فلا تحـزن وتعـال إليَّ في بغـداد. فأجبتـه: لا أملك نقـوداً ولا أقـوى على الوقـوف. ثم لاحقـني بكلماته: هل تفوِّض أمرك إلى الله؟ فقلت: لم أتّكل إلاّ عليـه. وهنا اسـتيقظت، وَلَشَدَّ عجبي أن رأيت قافلة حطّت رحْلَها على شاطئ النهر قـريبي، واتضح لي بأنهم حجاج في طريقهم إلى كـربلاء وقد جـاء الكثـير منهم مشـياً على الأقـدام من كرمان.

تملكتـني الدهشة حينما رأيت أحـدهم يخـرج من الخيمة ويتّجه نحـوي بخط مستقيم ويطلب مني أن أتبعه. تسـمَّرت في مكـاني لشـدة دهشـتي، ثم قمت وتبعته بعدما كـرر طلبه . دخلنا الخيمة ورأيت فيها جماعة في محضر رجل أخَّاذ في مظهره وقد وقف احتراماً لي وأقعـدني بجانبه ثم التفت وقـال : لقد حلمت في الليلة الماضـية أن الحسـين قد عَهِد إليَّ بالعناية بشـخص يحمل سـماتك ومظهرك، وأخبرني بـأن ذاك الحـاج هو ضـيفي وسـيكون معك إلى كـربلاء. لـذا فأنت ضيفي إلى هناك.

وهكذا، دون أية شكليات عادية أخذني هذا الرجل الجليل ، وكثيراً ما كان يـذكر لي بـأن الإمـام قـادك لي وأكّد عليَّ أن أقـدم لك أقصى ما يمكنـني من كـرم الضيافة. وحين وصـلنا بغـداد قلت له " هنا يمكننا الافـتراق، إلا أنه أجـاب بـأنني يجب أن أصطحبه إلى كربلاء. وهنا بيّنت له أن الشخص المبارك الـذي وضـعني في رعايتك قد أتاني في الحلم أيضاً ودعاني إليه في بغـداد، لـذلك عليَّ البقـاء هنا ولن أتابع السير إلى كربلاء.

عنـدما سـمع مضـيفي هـذه الكلمـات شحب وجهه وأجـابني بلهجة اعتـذار: في الحقيقة دعـاني الإمـام الحسـين أن آخـذك ألى بغـداد. وبمنتهى الطيبة واللطف ودّعني وتمنى لي السلامة .

وحينما تشرفت بمحضر جمال القدم أدركت بأنه ذلك الشـخص المقـدس الـذي رأيته في منامي. لقد تنعَّمت بعناياته وألطافه اللامتناهية.

(النبيل الاعظم)
وبعدها نزّلت سورة الصبر بحق الحـاج محمد تقي نفسه الـذي تـوفي في أدرنه في الأيام الأخيرة لمكوث بهاء الله في تلك المدينة.

_ 25 _

بينما كان جمال القـدم مقيمـاً في **ساركلو** ، وهي منطقة جبلية فـوق السليمانية ، شـاهد في أحد الأيـام تلميـذاً يـدرس في مدرسة " **خانقه** " وقد جلس على حافة الطريق يبكي بمرارة. وعندما سـأله حضـرته عن سـبب حزنه أجاب: لقد أعطى معلمنا باقي التلاميذ تدريباً في النسخ وحرمني منـه. فـاقترح عليه بهاء الله بكل لطف ومحبة قائلاً: إذا أحضرت لي قلمـاً وقرطاسـاً سـأكتب لك ما ستنسخه.
ولما عـاد التلميذ إلى المدرسة وقـدّم عيِّنة من خط بهـاء الله إلى المدرِّسـين والطلاب أبدى الجميع إعجابهم ، وانتشـرت أخبـار هـذه الحادثة في السـليمانية، وكلما انتقلت نسـخة الخط من يد إلى أخـرى نـالت إعجـاب من رآها وحب استطلاعه.
(النبيل الاعظم)

_ 26 _

طيلة سنة من مجمل المدة التي قضاها الجمال المبارك في السـليمانية كان يقيم في كهف حجري أبوابه مغلقة تقريباً.
(من مذكرات ضيا بغدادي غير المنشورة، وكما سمعه من عبد البهاء)

_ 27 _

أشار عبد البهاء إلى مناجاة بهاء الله الـتي نُـزِّلت في السـليمانية والـتي تبدأ : " قلبـاً طـاهراً فـاخلق فيَّ يا إلهي .." وقـال : عنـدما سـمعتها لأول مـرة أجهشت بالبكاء.
(من كلمات عبد البهاء كما يوردها ضيا بغدادي في مذكراته التي لم تنشر)

_ 28 _

عادة ما كان الجمال المبارك يقضي أيامه في بغـداد على النحو التـالي:
بعد تناول شاي الصباح، حيث كانت تقدم له في الغرفة الداخلية (الأنـدرون) ، يـذهب حضـرته إلى (البـيروني) وهو صـحن الـدار ومخصص للاسـتقبال حيث يتجمع الأحباء في محضره ، واعتاد أن يجلس أو يتمشى بعض الخطـوات ذهابـاً وإياباً لمدة نصف ساعة إلى ساعة كاملة.
بعد ذلك كـان يسـير نحو مقهى السـيد حـبيب العـرب في الحي القـديم لبغـداد (حيث يرتـاده الرسـميون والمرموقـون في تلك الأيـام) ، ويقصـده حضـرته بهدف تبليغ الأمر الإلهي وترويجه. فكـان الكثـير من السـكان وغـيرهم يهرعـون لرؤيته والتشرف بمحضره والاستفادة من كلماته. اعتاد أن يرتاد المقهى رجـال مرموقون، وكان صاحبه غير مؤمن يكنُّ للجمال المبارك كل الاحـترام والتبجيل بشكل مميز عن الآخرين. وبعد الانتهاء من مناقشات غالباً ما كانت تـدوم لأكـثر من ساعة، كان بهاء الله يعود إلى منزلـه، وبعد الظهر يسـتقبل الأحبـاء، وبعد ذلك يرجع إلى المقهى ليعود مع غروب الشمس حيث يجتمع الأحباء مرة أخـرى في الغرف الخارجية للمنزل يتمتعون بمحضره الأنور مـدة سـاعتين بعد المغيب

ثم يغادرون . وبالإضـافة إلى أصـحابه، كـان يتشـرف بمحضـره رؤسـاء ديـنيون مرموقــون ووجهــاء وموظفــون رســميون في بغــداد لم يســبق أن زارهم في مــنزلهم. واعتــاد الكثــير من جميع طبقــات المجتمع أن يســألوه النصح في مشاكلهم المعقَّدة .

(من مذكرات الأستاذ محمد علي السلماني)

_ 29 _

روى آقاي كليم، الأخ الوفي لبهاء الله، الحادثة التالية لنبيل :
في بغداد، وفي إحدى الأمسيات، قـام المنـاوئون لبهـاء الله بتعصـبهم الشـديد بإثارة مجموعة كبيرة من الأكراد الشيعة وذهبت إلى منزله هناك. ولدى دخولهم باحة المنزل، لزمـوا واقفين قـرب الحائط دون أن يتفوّهـوا بكلمـة، مسـتعدين لسلِّ سيوفهم بمجرد إيماءة.
خـاطب الجمـال المبـارك أحـدهم بقولـه: " إن الـذين أحـاطوا بـأمير الشـهداء (الإمام الحسين) في بيداء كربلاء بقصد قتله وأتباعه، هل كـانوا مؤمـنين حقـاً بالله ورسوله؟ . جاء الرد : من الواضح لم يكونوا مؤمنين، فلو كـانوا مسـلمين حقـاً ومؤمـنين بالله ورسـوله لَمَا قتلـوا سـلالة الرسـول وأصـحابه، وما كـانوا ليقتادوا أهل رسول الله إلى الأسر والاعتقال.
عند ذلك دعاهم بهاء الله إلى داخل منزله للجلوس وقـدَّم لهم المرطبـات وأخذ يشـرح بالتفصـيل مأسـاة الإمـام الحسـين واستشـهاده. فأخذ الأكـراد يجلسـون الواحد تلو الآخر وحضـرته يـروي لهم قصة معارضة **يزيد** الـذي أصـبح الخليفة الأمــوي الثــاني بعد والــده (معاويه). ثم ذكَّرهم بأســماء أولئك الــذين قــادوا الجيش المكـوّن من أربعة آلاف جنـدي ضد الحسـين الـذي لم يكن معه سـوى مائتين من أفراد عائلته وأصـحابه المخلصـين، والتغيـير المفـاجئ في قلب قائد الفرسان آنذاك (الحر بن يزيد) بحيث انتقل إلى صفوف الحسين.
ويختم بهاء الله سرده للتاريخ بقوله : " وهكذا نال الإمام الحسين الشهادة على أيديهم بكل قسوة ، ثم قام القتَلة وأعلنوا : لقد انتهك الحسـين حُرمة دين جَـدِّه فقُتِل بسيف جَدِّه."
وإذ تـأثر الأكـراد أيَّما تـأثير، قـاموا عن مقاعـدهم بـاكين وقبَّلـوا رداء بهـاء الله وقالوا مؤكِّدين : " قد نكون مثل **الحر** الـذي كـان قصـده في البداية قتل أمـير الشــهداء ثم عــاد وتــاب وكــان أول من وضع حياته في ســبيله. وبكل خضــوع وإخلاص طلبوا من بهاء الله إذنه بالمغادرة .

(النبيل الاعظم)

_ 30 _

جاء أحد موظفي القنصلية الإيرانية إلى بهاء الله ذات يوم في بغـداد ليبلغه بـأن أحد الإيرانيين المتَّهمين بخيانة الحكومة يدَّعي بأنه من المخلصين لحضــرته، إلا أنهم ترددوا في اتخاذ أي إجـراء ضـدَّه احترامـاً لبهـاء الله طـالبين نصـيحته في واجبهم تجاه ذلك الشرير.
أجـابهم بهـاء الله : " أخـبره أنه ما من أحد في العـالم يملك الادّعـاء بعلاقته بي سوى الذين يقتدون بي بأفعالهم وسـلوكهم على شـأن لا يمكن لأهل العـالم أن يمنعوهم عن القول اللائق والذكر الحسن ". ثم التفت إلى آقاي كليم الذي كان حاضراً وقال:" حتى لو كان أخي يـروِّج لعمل مخـالف لمصـالح الدولة أو الـدين

ويثبت عليه الاتهام في نظري، لكـان مبعث سـروري وتقـديري أن أراه يعـاقب عقاباً شديداً.

(مقتطف من القرن البديع ص 133)

لـذا فـإن عليهم ألا يقبلـوا وسـاطة أحد ولا ادِّعـاءه بعلاقته بي طالما أنه يخطط ويقـوم بعمل جـدير بـالازدراء . فـترك موظف القنصـلية المحضر المبـارك بكل خضوع.

(النبيل الاعظم)

_ 31 _

في منطقة **جسار** شرقي بغـداد يقع مقهى عبد اللـه، وكثـيراً ما كـان الجمـال المبـارك يرتـاده بعد تنـاول شـاي الصـباح، وغالبـاً ما كـان يـذهب إلى مزرعة وشاش _ على بُعد ميلين تقريباً جنـوب بغـداد اسـتأجرها له أخـوه آقـاي كليم _ فيقضي فيها وقته حـتى الغــروب. كـانت المزرعة تـروى من نهر دجلــة، وقد أقيمت فيها تعريشة لاسـتراحة الجمـال الأبهى. كـانت المزرعة مكانـاً مفضَّـلاً لزيارات العائلة المباركة، وكانت تُنصب في وسـطها خيمة كبـيرة. وحيثما ذهب بهـاء الله وحـلَّ تحلّق حوله الأحبـاء وغـير الأحبـاء على السـواء للاسـتماع إليه والإفادة من كلماته.

(النبيل الاعظم)

_ 32 _

ذات يوم أثناء سفره من الكـاظمين إلى بغـداد تحـدث الجمـال المبـارك قائلاً : " يا لبُعد الشيعة عن مكارم الأخلاق! فـرغم علمهم بالحـديث الشـريف : المـؤمن حيٌّ في الـدارين . فـإنهم يـدخلون الأمـاكن المقدسة بثيـاب متَّسـخة ورائحة البصل والثوم تفوح من أفواههم. إن الـروائح الكريهة في هـذه الأمـاكن مكروهة لدرجة أننا نأنف عن وصـفها. واعتـاد شـعاع الدولة _ وهو أمـير أيـراني بوظيفة عالية_ أن يقول : إن مشاعر التبجيل تجاه الأئمة تفوق الوصف.

ثم روى بهـاء الله الحادثة التاليـة: ذات يـوم، ولـدى دخولنا مسـجد **القمـري** القريب من مسكننا وضفَة نهر دجلة، رأيت شخصاً أخذ يبيِّن أسرار تلك الآيـات المتشابهات التي وردت في القرآن الكـريم وبلا أدنى حكمـة. وددت لو تـدخّلت، إلا أنه اتضح لي أن القارئ والمسـتمع كليهما غـير واعٍ بالموضـوع، وأن الرحيق المختـوم الـذي عُهِد به إلى هـؤلاء القـوم سـيظل مختومـاً إلى أن يتذوقه ذووا القلـوب الصـافية وليس غـيرهم، ولن تتعطّر بشـذاها إلا تلك النفـوس الـتي تستمتع بقربها من الله.

سـألني إمـام هـذا المسـجد عن مـدينتي وبلـدي فأجبتـه: " إن مقـري يـدعى " العمــاء" . فسـأل : وما نـوع هــذه المدينـة؟ فأجبتــه: " إن شمسـها لا يحجبها السحاب، وقمرها مغلَّف بالنور، وحتى نجومها لامعـة. أنهارها جاريـة، وأرضـها خضراء. أشجارها وارفة مثمرة، وأزهارها على الدوام مفتَّحة. خيراتها لامتناهية، وبركاتها لا محدودة.

عجب الإمام كثيراً ثم قال: لم يخطر لي أبداً مدينة بهذا الاسم وهذه الأوصـاف، ليتنا نعيش فيهـا. وكـان من الواضح أن الإمـام كـان على درجة من البسـاطة المتناهية بحيث اعتقد أن مثل هذه المدينة كائنة فعلاً على هذا الكوكب الترابي. دأب الإمام على الحضور، وكان مليح الصـفات ويتحـدث في العديد من جـوانب العلم، يدعى عبد السـلام أفنـدي ويـدرّس في مدرسة الشـيخ عبد القـادر.

رتّبت له أن يلتقي بالغصن الأعظم (عبد البهاء) في أيام محددة في الصباح والمساء للإجابة عن أسئلته في العلوم. وذات يـوم صـرّح قـائلاً: درست ودرّست زهاء ما ينوف عن الثلاثين عاماً، ومع ذلك فـإنني مضـطر إلى الرجـوع لكتبي عندما يسألني تلاميذي، وصـبيّك الضـليع هـذا يسـتطيع أن يقـدّم الشـرح الذي لم يخطر ببالي أبداً. فبيّنْتُ له: " إن جوهر الغصن الأعظم دالٌّ على جوهر الله، إنه قادر بلا عناء أن يستوعب المسائل العلمية ويدرك حقيقتها على شـأن يعجز الآخـرون عن إدراك مـدى عمقهـا. مثله كمثل **البـاب** الـذي اسـتطاع بعد صفحات قليلة من التمرين أن يكتب خطاً رائعاً، ورغم حضـوره المدرسة أيامـاً قِلَّةً، فإن علماً إلهياً فيّاضاً يتـدفق من فـؤاده. وبالطريقة نفسـها، فـإن الغصن الأعظم سرعان ما يلمح ذهنه بعض جوانب العلم حتى يستوعبه بدرجة تفوق ما قد يدركه العالِمُ مهما كانت قدرته.

(النبيل الاعظم)

_ 33 _

كان الجمال المبـارك مصـدر العناية الكـبرى والرحمة الواسـعة للجميـع، خاصة الفقـراء الـذين كـان يشـملهم برعايته الخاصـة. فكـان على الـدوام يغـدق على المعاقين واليتامى والمحتـاجين بهـداياه خلال سـيره في المدينـة. من بين هـؤلا عجوز في الثمانين من عمرها تعيش في الأحياء الفقيرة التي يمرّ بها بهاء اللـه. فكـانت تنتظـره يوميـاً وهو متوجّه من منزله إلى مقهى **سـار الجسـر.** كـان حضرته يشملها بعطفه الفائق ويسألها دومـاً عن صـحتها، ولم يكن ليسـمح لها بتقبيل يده، بل كان ينحني لقِصَر قامتها لتتمكن من تقبيل وجنته فتنال مرادهـا. وكثيراً ما كان يقول: " لأنني أُحب هذه العجوز كثيراً فهي تحبني أيضاً". وطـوال مـدة إقامته في بغـداد كا يشـملها برعايتـه، وقبل أن يغـادر إلى القسـطنطينية خصص لها راتباً لمعيشـتها مـدى الحيـاة. كل مقهى كـان يرتـاده بهـاء الله كـان يكتظ بالروّاد ويأتيه بالخير على صاحبه.

(النبيل الاعظم)

_ 34 _

أثناء إقامة بهاء الله في بغداد، دأب الشيخ عبد الحسين الطهراني – الـذي كـان عدواً لدوداً لحضرته ومكلّفاً بالإشـراف على تـرميم المقامـات المقدسـة- دأب على تحريض عدد من الناس في محاولات لاغتيال بهاء الله وكان أحـدهم تركيـاً يدعى رضا. وقف رضا في أحد الأيام مترقّباً مرور الجمال الأبهى وبيده السـلاح جاهزاً، إلا أنه حالما وقع نظره على حضرته شـعر باضـطراب عظيم ثم سـقط المسدس من يده ولم يستطع الحراك، فـالتفت بهـاء الله إلى أخيه آقـاي كليم وقال :" أعيدوا له مسدسه ووجِّهوه نحو بيته الذي ضلَّ الطريق إليه".

(النبيل الاعظم)

_ 35 _

ذات يوم عند الأصيل، زار الجمال المبـارك المـنزل الـذي كـان يقطن فيه نبيل الزرنـدي وبعض أصـدقائه حيث كـان مقـابلاً لمـنزل حضـرته ويخلو من الأثـاث. سُمع بهاءالله وهو يقول :" إن هذا المنزل يبعث السـرور حقـاً، فهو في نظـري أفضل من القصـــور المنيفة الـــتي يقطنها ملـــوك الأرض، لأن أحبـــاء الله هنا ينشغلون بذكر الله بقلوب مجرَّدة.

(النبيل الاعظم)

_ 36 _

إن ما كـان يثـيره كل من قنصل أيـران والرؤسـاء الـدينيين من مشـاعر العـداء لبهاءالله ، لم تكن لتغـير من عادته اليومية في السـير بشـوارع المدينة وعلى شـاطئ دجلة يرافقه أخـوه المخلص غـير الشـقيق مـيرزا محمد قلي، لا تهمّه أخبار الأوضاع المضطربة التي كـان يحملها له الأحبـاء. إلى أن جـاء يـوم، وبينما كان يتمشى في صحن منزله ذهاباً وإيابـاً، حضر شخصـان يضـمران الشـرَّ ولو أنهما في الظاهر محبّيْن، فكانا مع رؤساء الدين في مكائدهم. كان في الحضور بعض المؤمـنين الـذين خـاطبهم بقولـه:" هل سـمعتم؟! لقد حشد المجتهـدون والقنصل زهاء عشرة إلى عشرين ألف شخص من النجف وكربلاء قياماً بالجهاد ضـدنا" ثم التفت إلى هـذين الشخصـين وقـال :" اذهبا وقـولا لهم وأيم الله لن أرسل أكـثر من رجلين فيقوما بصـدِّهم ودفعهم حـتى الكـاظمين، فـإذا أرادوا فليأتوا". أبلِغت الرسالة ، ويا للعجب لقد اختفى المناوئون.

(النبيل – من خطابات عبد البهاء)

_ 37 _

حدّثنا بهاء الله يوماً عن الشيخ عبد الحسين الطهراني فقال :" دعانا أحد رفاقه لمقابلة الشيخ، فقلنا إنها فكرة قيِّمة، اذهب توّاً وأبلغه بأن لا يـتردد في الفعل الطيّب، فأية ساعة يتم تحديدها في الأيام العشرة القادمة سيجدني جاهزاً قبل الموعد بسـاعتين لتبـادل الحـديث معه حـتى لا تبقى حجة أو ذريعة (لإثـارة المشاعر ضدّنا) .

(النبيل الاعظم)

_ 38 _

روى لنا بهاء الله ما يلي :" لقد أبلغت رؤساء الدين في العتبات (عتبـات الأئمة في النجف وكـربلاء) بأننا على اسـتعداد للإتيـان بمعجـزة يختارونها دليلا على أحقية رسالتنا، أما إذا كان مقصدهم إثـارة الشـغب ليس إلاّ، فقد أقسـمت أن بمقدوري أن أرسل رجلين ليطـارداهم حـتى أبـواب كـربلاء. واسـتطرد قـائلاً :" أخبرنـاهم أن على العلمـاء أن يجتمعـوا ويحـددوا المعجـزة المطلوبة باتفـاقهم، وأن يكتبـوا إقـراراً بـالكفِّ عن معارضـتهم العنيفة بعد الإتيـان بهـا، وإذا فشـلنا فلهم أن يشهدوا بأننا دجّالون. إلا أنهم فشلوا في الوصول إلى قرار ".

(النبيل الاعظم)

_ 39 _

في شهر محرم، وبتحريض رؤساء الدين، تقدم نفر من الذين يجلدون أنفسهم في هذه الذكرى نحو منزل بهاء الله في سـاعة متـأخرة من الليل بهـدف إثـارة البلبلة والاضطراب. خاطب الجمال المبارك أخاه آقاي كليم قائلاً :" افتح البـاب واسـتقبل الضـيوف". دخل الجميـع، ثم دخل عليهم حضـرته وأشـار بكل لطف وبوجه مبتسم بوجوب تقديم الشاي لهم جميعـاً. بعد ذلك شـرعوا في المغـادرة بكل هدوء بتمام الخضوع مبدين كل الاحترام القلبي.

(النبيل الاعظم)

_ 40 _

كان الحاج مؤنس، وهو أحد المؤمنين في بغداد ويقيم لوحده في غرفة، قد بدأ صياماً مستمراً لعدة أيام حتى شارف على الموت، ولم يذكر أحد لبهاء الله عنه. ولما بلغ حضرته النبأ أرسل له أحد الخادمين ومعه طبق من الحلوى ويأمره بإنهاء الصيام. أدرك الخادم الحاج مؤنس وهو فاقد الوعي، وبعد أن صحا أبلغ بتعليمات بهاء الله . بعد ذلك حرص الجمال الأبهى ألا يترك في أذهان الأحباء أي شك في أن مثل هذه الأعمال محرّمة بشكل لا لبس فيه.

(النبيل الاعظم)

الفصل الرابع
الرحلة إلى القسطنطينية
مايو/ أيار _ أغسطس/ آب 1863

_ 41 _

بينما كانت قافلتنا تمر بقرية في أسفل جبل **ماردين** انضم إلينا عربي من راكبي البغال من دمشق. وحيث إن المنطقة كانت تعجَ باللصوص ، فقد دعاه الجمال الأبهى أن يقضي الليلة مع قافلتنا، إلا أن صاحب البغال فضّل النوم خارج المخيم. وما أن حل الليل حتى سطا عليه قاطعو الطريق وسرقوا بغاله.

وما أن بدأت قافلتنا بالتحرك في الصباح حتى أسرع العربي إلى هودج بهاء الله وأمسك بذيل ردائه طالباً مساعدته صائحاً: أريد استرجاع بغالي. طلب بهاء الله إنزال الهودج وأمر باستدعاء المأمور الرسمي هناك، ثم وجّه كلامه للمولى (عبد البهاء) قائلاً:" قل له _ أي للمأمور _ يجب أن ترجع البغال المسروقة ".

استدعى المأمور شيخ القرية الذي أعلم بالموقف وعلّق قائلاً: رغم أن هذا الشخص قد نُصح بأن يبقى ضمن دائرة الخيام مع باقي المسافرين لأن المنطقة مبتلية باللصوص، فلم يُعِر اهتماماً لهذه التحذيرات، وعليه، لا لوم علينا ولسنا مسؤولين. ومنذ فترة سرقت في هذه البقعة بالذات شحنة من الحرير تخصّ حاكم بغداد عمر باشا، فأين الأمل في العثور على بغال الرجل وفرقة من الجيش كاملة لم تستطع العثور على بضاعة الباشا المسروقة؟!.

بعد سماع القصة علق الجمال الأبهى قائلاً:" إن كلمات عمر باشا كانت محدودة في تأثيرها ولا يمكنها تجاوز هذه الحدود، والقصد من كلماتي أن يُعمل بها. فأوامري يجب أن تُنفّذ". أبدى شيخ القرية أسفه وطلب المعذرة، ثم التفت بهاء الله إلى المأمور وقال :" اذهب مع الشيخ إلى قلعة ماردين وسوف نتبعكم على التوِّ". وهكذا تحركت القافلة بأكملها نحو ماردين عدا الخيام والمؤونة الخاصة بحضرته حيث أرسلت مباشرة إلى ديار بكر.

بالقرب من بوابات قلعة ماردين بستان للفاكهة في وسطه قصر كبير يدعى الفردوس اختاره بهاء الله محطاً لقافلته. وفي الأيام التالية جاء كل من متصرف ماردين وقائد الحامية والقاضي والمفتى وجميع أعيان البلدة يطلبون التشرف بمحضره الأنور.

" إن السبب في مجيئنا إلى هنا استعادة البغال الثلاثة المسروقة من هذا الرجل، ويجب العثور عليها". هذا ما وضّحه بهاء الله. فقدّم الجميع معاذير لا

حصر لها، إذ ذكروا بأن المنطقة تعج باللصـوص، ومن المسـتحيل اسـتعادة أية مسروقات فيها، وأنهم على استعداد لدفع ثمن البغال.
أجـاب بهـاء اللـه:" حـتى لو تـبرع كل واحد منكم بمائة جنيه فليس مقبـولاً، وإذا كنتم عاجزين فإنني سأبرق للسلطات في القسطنطينية حتى تجد الحل.
وكــون بهــاء الله قد شــدد على أهمية ملاحقة اللصــوص، فقد أرسل الأعيــان الفرسان في جميع الاتجاهات. قطعوا مسافة في أربعة أيام ما تُقطع عــادة في ثمانية، واستطاعوا العثور على البغال وإعادتها إلى صـاحبها الـذي أبـدى امتنانه وسار في طريقه.
أغدق بهاء الله على جميع الذين اشتركوا في البحث بالهدايا وعبـارات الإطـراء. وفي اليوم الثالث غادر الركب إلى ديار بكر.
(من مذكرات حسين آشجي غير المنشورة)

_ 42 _

قدّم نبيل مزيداً من تفاصيل تلك الحادثة الخاصة بالبغال المسروقة كما وصــفها بهاء الله :
سرق عدد من البغال فجاء صـاحبها وأمسك بـردائي قـائلاً: لو سـرقت في هـذه البقعة كنوز السـلطان الطائلـة، فـإن اسـتعادة أصـغر قطعة عملة نحاسـية منها يكـاد يكـون مسـتحيلاً ، إلا أنـني على قناعة لو كنتَ تـرغب في ذلك بمقـدورك استعادة بغالي.
وحين لمست صدق قوله، أكّـدت له اننا لن نغـادر هـذا المكـان قبل أن نسـترد بغاله أولاً. وبلا أدنى تــأخير نزلنا في حديقة الفــردوس، وأرســلنا إلى الحــاكم مبينين أننا قطعنا وعداً لصاحب البغال ألا نغادر حتى تعود له.
تملّك الحاكم الاضطراب وقـال:" سـندفع بـذلك أكـثر من ثمن البغـال، ويمكنكم الكف عن البحث عنها خاصة وأنها فقدت عند مفترق طرق تكثر فيه اللصــوص، ولا يمكن استعادة هذه الحيوانـات بالـذات. قلت : " لا بـديل لكلمـاتي، يجب أن تعاد تلك البغال إلى صاحبها ".
بعد ثلاثة أيـام وُجـدت البغـال وسُـلّمت فـوراً إلى صـاحبها. وبعد ذلك انتشـرت التعليقات بين القريب والبعيد قائلين:" لا نعرف هذه الشخصـية البـارزة، وليس بمقدورنا إدراك تلك القوة التي مكّنته من إعادة البغـال إلى صـاحبها. إنها قـدرة فوق سلطة الرؤساء والوزراء على السواء.
(النبيل الاعظم)

_ 43 _

في الطريق من بغـداد إلى القسـطنطينية بمنطقة **سـيواس** وفي محضر بهـاء الله، أخذ شيخ ضليع باللغة الفارسـية ومن رؤسـاء الصـوفيين، يقـرأ أبياتـاً من المثنوي (للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي) . عندما لاحظ بهـاء الله شــدة ولع الشيخ بهذا الشعر، أخذ يسرد له ملحمة من ستين بيتاً من المثنـوي نفسه ، مع أن حضرته لم يُرَ في السابق يقرأ من المثنوي أو كان بحوزته. تأثر الشــيخ كثيراً بالنعمة الكبرى التي أسبغت عليه، ثم غـادر وعلائم الغبطة الغـامرة بادية عليه.
(النبيل الاعظم)

_ 44 _

ذات ليلة وقافلتنا تشق طريقها عبر منطقة كثيفة الأشـجار، لوحظ فقـدان بغل يحمل صناديق فيها من الآثار الكتابية وأشـياء أخـرى هامـة. ورغم أن المسـؤول المرافق للقافلة ذكر بأنه لا يمكن استعادة ما يُفقد في هذه المنطقة وقدّم بغله عوضاً عنه، فقد ذهب عبد البهاء مع عـدد من الفرسـان بـإذن بهـاء الله للبحث عنه في جنح الليل. وخاطب الفرسان قائلاً: لا بد من استعادة هـذه الممتلكـات، فلنتكل على الله ونقسّم أنفسنا إلى فِـرق تبحث في ممـرات الغابـة، ومن يجد البغل عليه أن يعلم الآخرين بصوت عالٍ أو بإشعال النار. وعند شروق الشـمس وُجد البغل وعاد الكشافون وانضموا للقافلة ظهراً تقريباً ببهجة غامرة. بعد ذلك سُمع بهاء الله يقـول: إن ما قـام به الغصن الأعظم يشـابه في كثـير من جوانبه لرد فعلي تجاه حادثة المكان القريب من مـاردين، حين أصـرّيت على اسـتعادة البغال التي سرقت من صاحبها العربي.

(النبيل الاعظم)

الفصل الخامس
القسطنطينية وأدرنه
1863_1868

_ 45 _

من الأمـاكن الـتي تشـرفت بقـدوم بهـاء الله خلال فـترة إقامته القصـيرة في القسـطنطينية مسـجد **الخرقة الشريفة** وجـامع **السـلطان محمد** وضـريح **أيوب الأنصاري**.

كان عادياً في تلك الأيام أن يتناول الجمال المبارك وجبتي الغـداء والعشـاء في البيروني (الصحن الخارجي) للمنزل الـذي خصص لـه، وغالبـاً ما كـان الأحبـاء والاصدقاء يشاركوه تلك الوجبات.

في يوم استلام فرمان السلطان بنفي بهاء الله إلى أدرنه، أنزل حضـرته لوحـاً مطـوّلاً وجّهه إلى عبد العزيز ووضـعه داخل ظـرف مختـوم إلى شمسي بـك، وهو المصنف الرسمي للحكومة، حتى يسلمه إلى رئيس الوزراء عالي باشا مع رسالة تفيد بأن اللوح" نُزِّل من عند الله" ولم يُقصد به على أنه ردٌّ على فرمان السلطان.

وفي وقت لاحق قال شمسي بك لأقـاي كليم:" لم أكن أعـرف فحـوى الكتـاب، إلا أن الصدر الأعظم ما كاد يتصفحه حتى شحب وجهه وامتقع لونه وقال: كـأني به ملك الملوك يصـدر أوامـره إلى أصـغر وُلاته ويرشـده إلى المسـلك القـويم. وساءت حاله بحيث فضّلت الانسحاب". ومما يُروى أن بهاء الله علّق على تـأثير ذلك اللوح بقوله:" بعد وقوف وكلاء السـلطان على مضـمونه، فإنه يمكن تـبرير الأعمال التي مارسوها ضدنا، أما ما عملـوه قبل وقـوفهم على مضـمونه فليس له أي مبرر".

(نبيل – الفقرة الأخيرة من كتاب القرن البديع ص 195 – 196)

_ 46 _

خلال إقامة بهـاء الله في أدرنـه، من ديسـمبر/ كـانون الأول – أغسـطس/ آب 1868 ، عاد نبيل أعظم من رحلة كانت طويلة وتشرّف بالمحضر الأنور. حيّـاه

بهاء الله قائلاً :" حسناً ما فعلت، بارك الله فيك. إن يد القدرة أمسكت بالنبيل وأحضرته إلى هنا، إلا أنه فَقَدَ وزنـاً وغـارت عينـاه. تعـالَ واشـرب الشـاي لعل وزنك يزيد غراماً أو غرامين".
وبعد عـدة أيـام وقعت عينا الجمـال المبـارك على النبيل عنـدما كـان يـزور أحد الأحباء في بيته فخاطبه قائلاً:" شئ رائـع، لقد زاد وزن نبيل قـدراً لا بـأس بـه، إنها زيادة فاقت الغرامات التي اشترطناها".
(النبيل الاعظم)

_ 47 _

قبل إيمانه بالأمر المبارك، حلم الحاجي ميرزا حيدر علي بأنه سمع المنـادي في سوق أصفهان يعلن بـأن النـبي محمد (عليه السـلام) يقطن في مـنزل معين، ويرحب بمن يرغب في رؤيتـه. ولما كـان الحـاجي راغبـاً في نيل شـرف زيـارة النبي الكريم، فقد توجّه إلى المنزل الـذي كـان مختلفـاً عما شـاهده من قبـل. صـعد الـدرج ودخل قاعة تحيطها عـدة غـرف. وهنـاك (كما أفـاد) اسـتطعت مشــاهدة قداســته وهو يتمشى بينما وقف جمع من النــاس في محضــره بكل خشوع. تقدمت نحوه، ولم أستطع منع نفسي فارتميت على قدميه المباركتين. رفعني بلطف وقال:" مالم يكن بمقدورك أن تقـول: لأجل الله وفي سـبيل الله أتيت إلى هنا ودخلت، وأن باســـتطاعتك مواجهة ســـكان الأرض قاطبة وهم ينوون قتلك بسيوف شاحذة متسائلين لماذا دخلت؟ فإنك لا تسـتطيع أن تـدّعي بحق أنك ما جئت ودخلت إلا خدمة لله ولا شئ غيره". عندها أفقت من حلمي.
ومع مرور الـوقت أخذ الحلم يغيب عن ذاكـرة مـيرزا حيـدر علي تـدريجياً. ومـرَّ أربعة عشر عامــاً عنــدما دخل أرض السـرِّ (أدرنه) ، وكــان يتنعمً بالتشــرف بمحضر بهاء الله مرة أو مرتين يومياً.
استطرد الميرزا حديثه قائلاً :" وذات مساء لم أحظ بمحضر الجمال المبارك إذ كنت جالساً مع آقا ميرزا محمد قلي في مقهى قرب منزل بهاء الله ولمدة أربع أو خمس ساعات. وفجـأة تملكتـني رغبة عارمة في أن أذهب إلى حضـرته، إلا أن شجاعتي خانتني في أن أُقْدِمَ على ذلك. وفي تلك اللحظة فُتح البــاب ودخل عبد البهاء وأمرني باتِّباعه.
عندما دخلت المحضر الأنور وجدت جمــال القــدم يتمشى في وسط القاعة بين جمع من الأحباء الواقفين حوله بكل خضوع، وسرعان ما وجــدت نفسي أرتمي على قدميه، ثم رفعني وقال:" ما لم يكن بمقدورك أن تقــول : لأجل الله وفي ســبيل الله أتيت هنا ودخلت، وأن باســتطاعتك مواجهة ســكان الأرض قاطبة وهم ينوون قتلك بسيوف شاحذة متسائلين لماذا دخلت؟ ، وعلى الفـور تـراءى أمام نـاظري مشـهد وكأنه صـورة مرسـومة على الحائـط، تلك الكلمـات الـتي سـمعتها قبل أربعة عشر عامـاً بـذلك الصـوت وتلك الطلعة البهية اللامثـال في ذلك الحلم. لملمت نفسي وعـدت إلى حـالتي الطبيعية بالتـدريج وأيقنت بـأنني كنت أقف بين يدي الجمال المبارك.
(بهجت الصدور ص 80)

_ 48 _

ما إن صدر فرمان السلطان عبد العزيز بنفي بهاء الله إلى سجن عكـاء، حـتى تـرك بـاقي المنفـيين في بلبلة لما قد يحـدث لهم، ولم يسـتطع الحـاج جعفر التبريزي تَقَبُّل انفصاله عن بهاء الله، فقطع حنجره بالموس.
وصلت أنباء الحادثة إلى أسماع بهاء الله في غمـرة الاسـتعداد للرحيل والجنـود محيطون بمنزله، فذهب حضرته تواً إلى منزل الحـاج جعفر ثم وضع رأسه في حجره ومسح عليه وقال:" أقسم بدم البـاب المقـدس الـذي أريق أنـني سـوف أدعـوك إلى حيث أُنْفَى، وتأكد أن كلمـاتي ما قيلت عبثـاً، وحيث إن السـفر لا يلائمك الآن، فاسـمح لهم أن يعـالجوك، وحالما تتحسّـن صـحتك وتغـدو قـادراً على السفر سوف نرسل في طلبك". بهذا التأكيد قبِلَ الحاج جعفر العلاج الذي قدم له.
(النبيل الاعظم)

_ 49 _

بينما كان الركب المبارك على وشك مغادرة أدرنه، أصرّ الجمال المبــارك على أن " جميع الأحباء يجب أن يصحبوني" موجِّهـاً كلامه إلى الحـاكم الـذي أجـاب : إن الفرمان السلطاني لا يجوز تغيـيره ورغبة السـلطان ألا يرافقـوك. فـرد عليه بهاء الله:" إن الأمر أمري وليس أمر السلطان، فأرسِـلْ على الفـور برقية إلى السلطات بـأن إرادتي تقضي بـأن يرافقـني الجميـع". أرسل الحـاكم برقية إلى الباب العالي شارحاً الأمر. فجاء الرد " إنه حرٌّ فيما يفعل" ، وعندما تبين لبهــاء الله بأن الحكومة قد رصدت مبلغاً يكفي لأربعة أشخاص فقط في هذه الرحلـة، أشار حضرته إلى أن الحـاكم عليه أن يحتفظ بـالمبلغ وقـال:" أعـدناها لك وهي ملكك، وسوف نتكفل بمصاريفنا وحسبنا الله ولا تشغل نفسك بنا بعد الآن.
(حسين آشجي – مذكرات لم تنشر)

_ 50 _

حزن أحد الأحباء حزناً شديداً على وفاة والده، فأخذ جمال القدم في مواسـاته قائلاً:" والدك لم يمت بل هو شهيد في سبيل العلي القدير، فها أنا ذا والدك ".
(المصدر السابق)

_ 51 _

كلما كان أيٌّ من الأحباء يندب انفصاله عن بهاء الله كانت دمـوع حضـرته تنهمر على خديه، وإذا ضاع أحدهم خلال الرحلة إلى غاليبولي التي دامت أربعة أيـام، أو فاته الـركب إن هو غـطّ في نـوم عميـق، دأب الجمـال الأبهى على إرسـال الفرسان في كل اتجاه بحثاً عنه رافضاً مواصلة السير إلى أن يجدوه.
(المصدر السابق)

الفصل السادس
عكا والبهجه
1868- 1892

كثـير من القصص قد دُوِّنت وحُفظت عن جمـال القـدم خلال السـنوات الأربع والعشرين الأخيرة من نفيه في مدينة عكـاء وما جاورهـا. بعضـها مرتبط بحبسه داخل السجن وأخرى بإقامته في عدة منازل من ضمنها بيت عبود داخل أسـوار المدينـة. وثمة قصص أخـرى عن زيـارات حضـرته إلى حديقة الرضـوان بعـدما أصبح قـادراً على الإقامة خـارج الأسـوار في قصر المزرعة في يونيـو/ حزيـران عام 1877 ، ثم في قصر البهجة في سبتمبر/ أيلول عام 1879 إلى أن صعد إلى الرفيق الأعلى في 29 مايو/ أيار عـام 1892 . كما أن بعض القصص التالية خاصة بزياراته إلى عكاء وحديقة الجنينة في السنوات الأخيرة من حياته.

_ 52 _

خلال أبحاثه في فروع الدراسات الإسلامية المختلفة في مدينة يـزد، اعتنق أمر الباب آقا ميرزا جعفر يزدي، بعد ذلك ترك إيران ليواصل دراساته في النجـف. وما أن سـمع بأخبـار انتقـال بهـاء الله إلى بغـداد حـتى سـارع إليها وخلع لبـاس المجتهد ولبس لبـاس الشـخص العـاديِّ غـير المثقف وأخذ يعمل نجـاراً. رافق الجمال المبارك في رحلته من العراق إلى القسطنطينية ومنها إلى أدرنة خادما مخلصاً متواضعاً، وعندما نُفي بهاء الله إلى عكـاء شـاركه السـجن بكل امتنـان لهذا الفضل.
وخلال حبسه في الثكنات العسكرية أصيب بمـرض شـديد بحيث رفض الطـبيب متابعة علاجه يقينـاً منه بـأن حالته ميـؤوس منهـا. وأخـيراً لفظ أنفاسه الأخـيرة وسط أسرته الباكية ، فذهب الميرزا آقا جان فوراً إلى الجمـال المبـارك يعلمه بوفاته ، فأمره حضرته أن يـذهب ويقـرأ له لـوح الشـفاء وسـوف يصـحو حـالاً، ولما إقترب منه عبد البهاء وقـرأ لـوح الشـفاء كـان جسد آقا جعفـري قد أصـبح بـارداً وعلائم المـوت بانية عليـه، إلا أنه أخذ يتململ ثم حـرّك أطرافه وما أن مرّت ساعة حتى رفع رأسه وانتصب جالسا وبدأ يضحك ويسـرد النكـات. عـاش بعـدها مـدة طويلة منشـغلاً بخدمة الأحبـاء كما أخبرنا عبد البهـاء في إحـدى المناسبات، وأخيراً غادر هذا العالم إلى حياة الآخرة من السجن الأعظم.
(عبد البهاء – تذكرة الوفاء ص 156- 158)

_ 53 _

في طريقه إلى الأرض الأقدس وصل عبد الرحيم بشـروئي إلى عكـاء ، وهوأحد المؤمنين القدامى، بعد رحلة شاقّة استمرت سـتة أشـهر أخذته عـبر بغـداد إلى ديار بكر ثم الموصل . في ذلك الوقت كان جمال القدم في الثكنات العسـكرية تحت الحراسة المشددة. تقابل عبد الرحيم مع نبيل الزرندي وعبّر له عن شـدّة توْقه للمثول بمحضر بهـاء اللـه، فأجابه نبيـل:" طيلة تسـعة شـهور تقريبـاً وأنا أطوف حول السجن وسبُل اللقـاء بالجمـال المبـارك ظلت مسـدودة أمـامي". وبعد سماعه تلك الكلمات توجّه عبد الرحيم إلى الشاطئ وخلع ثيابه وغسلها ثم لبسـها بعد أن جفّت. وما أن بـدأ سـيره نحو اسـتحكامات السـجن حـتى لاحظ شخصـاً في الشـباك بالـدور العلـوي يشـير له بالحضـور، وعلى التـوّ أيقن بـأن الجمـال المبـارك يـدعوه لمحضـره، فغَـذَّ السـير مسـرعاً إلى بوابة الثكنـات الخارجية ومرَّ بالحرّاس المسلحين إلى داخل السجن دون أن يعترضه أحـد، ثم بلغ المحضر الأنور خاضعاً خاشعاً حيث خاطبه بهاء الله بقولـه:" مع أنك تكبّـدت المشاقَّ التي لا حصر لها، فقد فـزت بـالكنز. حقـاً لقد أغمضـنا أعين الحـراس لتتمكن من مشـاهدة وجه الله وتشـهد قوته وعظمته بـأمِّ عينيـك، فلتنقل إلى

أحبـاء الله كل ما رأيت". وفي لـوح نـزِّل بحقه لاحقـاً طلب بهـاء الله من عبد الرحيم أن يذكر وصوله إلى عكاء وكيف أنه وجد أبواب السجن محاطة بالجنود، إلا أن قـوة بهـاء الله قد حجبت أعينهم ومكَّنته من دخـول السـجن الـذي كـان مسكن حضرته.

ولما حان وقت مغادرة عبد الحيم المحضر الأنور، عهِدَ إليه الجمال الأبهى بعـدة ألواح ليسلمها إلى أشخاص معيَّنين في أيران، وأثناءَ مروره بأسواق بغداد أثـار شكوك بعض الرسميين الحكوميين الذين أخـذوا يتتبعـون خطواتـه، وما أن مـرَّ بأحد الحوانيت حتى أخـرج رزمة الألـواح من تحت إبطه بكل حـذر ورماها داخل الحـانوت معتمـداً على الله ثم واصل سـيره. لم يمض وقت طويل حـتى أدركه رجال الحكومة واقتـادوه إلى مـأمور الشـرطة، وبعد اسـتجوابه أبـدى المـأمور ارتياحه وسروره به حتى أنه قدَّم له بعض المال لرحلته.

ومع غروب الشمس عاد عبد الرحيم إلى الحانوت نفسه ومرَّ أمامه بكل حرص، وبينما هو كـذلك إذ بصـاحبه يناديه ويـدعوه للـدخول وحيـاه قـائلاً:" الله أبهى"، وأعاد إليه الرزمة.

أقـام عبد الـرحيم عـدة أيـام في بغـداد بمـنزل ذلك الرجل يقابل عـدداً من المؤمـنين، ثم سـافر إلى بوشـهر ومنها إلى يـزد ثم أصـفهان ومشـهد موصـلاً الألواح المباركة إلى أصحابها.

(عن فريدون رحيمي في تاريخ آقاي عبد الرحيم البشروئي – كتيب غير منشور)

_ 54 _

في زيارته لمنزل أخيه آقاي كليم في خان الجريني، خاطب جمال القدم حاجي ناصر معلِّقاً بالكلمات التالية كما سجلها جناب سمندر:

" يا جنـاب الحـاج، كنت هـدفاً لمصـاعب لا تحصى في سـبيل اللـه، وعـانيت الكثير، فلو نسيتَها أنت لن ينساها الله. فاعلم حقاً أن عوالم الله لا تنحصر في هذا العالم، فلو كان الأمر كـذلك، لما تكبَّد مظـاهر الله لحظة واحـدة ما حـاق بهم من مصائب من أهل العالم. فما كان صاحب الظهور قبلي (البـاب) ليقبل أن يُعَلَّق جسده في الهواء وتخترقه رصاصـات الحقد والكراهيـة، ولا أن أُسـاق أنا بمحض إرادتي حـافي القـدمين عـاري الـرأس في أشد حـالات البـؤس من نياوران إلى طهران لأتحمل آلام لا حصر لها.

(سليماني مجلد 7 ص 33)

_ 55 _

حكى آقا عزيز الله جذّاب، وهو حامل لوح عبد البهاء إلى الكـونت ليوتولسـتوي في **ياسناياپوليانا** في سبتمبر/ أيلول عام 1902 ، حكى حلماً تحقق في أول زيارة له بمحضر بهاء الله:

تنـاهى إلى سـمعي في الحلم بـأن اليـوم الموعـود الـذي تنبّـأت به جميع الكتب السماوية قد جاء. شاهدت أمامي صـحراء ممتـدة يقف فيها أنـاس في صـفوف متراصّة على مـدِّ البصـر، وعلى رأس هـذا الحشد الغفـير شـخص وقـور يعتلي عرشاً تشع منه مظـاهر العظمة والجلال، وبعناية فائقة أخـذت أحملق في ذلك الوجود الرائع. قدّرْت عمره فوق الخمسين، لحيته سوداء طويلة ويزيّن رأسه " تـاج " أخضـر. سـقطت عينـاه عليَّ وأشـار إليَّ أن أقـترب منـه، فسـرت بين صفوف النـاس إلى أن حظيت بمحضـره. وما أن هممت بـالانطراح على قدميه حتى رفعني وقال :" حمداً لله أحسن الخالقين"، وعندها أفقت من نومي.

عندما وصلت عكـاء عـام 1876 وحظيت بمحضر الجمـال الأبهى، ارتميت على قدميه ثم رفعني وقال:" حمداً لله أحسن الخالقين"، وسرعان ما مرَّ بمخيلـتي ذلك الحلم. رفعت رأسي وشاهدت جمـال القـدم عين تلك الشخصـية الوقـورة الـتي كـانت تخـاطب ذلك الحشد من النـاس في الصـحراء، وكـان يلبس التـاج نفسه الــذي رأيته في منــامي. ولا حاجة لي لــذكر مشــاعري الجياشة في ذلك الحين.
قصدت السوق في اليوم التالي لأبتـاع بعض اللحم وكـان يصـحبني أحد الأحبـاء، وبما أنني من سلالة يهودية، كنت أكره أسلوب المسـلمين في ذبح الحيوانـات، ومع ذلك احتفظت بهـــذا الســـرِّ لنفسي ولم أبُحْ به لأحـــد، وفي طريقنا إلى السوق بادرني رفيقي قائلاً:" وجَّهَني الجمال المبارك أن آخذك إلى جزار يهودي حتى تشتري اللحم الذي يروق لك.

(عن ابنه الدكتور أمين جذّاب)

_56 _

من مذكرات جناب الاستاذ علي أكبر شهيد يزدي:
آمن بالأمر المبارك تاجر يدعى آقا محمد رحيم من أصفهان ثم أخذ بـالتبليغ، إلا أن عدداً من الناس، بدافع العداء وبكل قسوة من أبرزهم والده، جعلــوا حياته لا تُطاق، ولم يكن أمامه سوى مغادرة أصـفهان إلى **سـابزيفار** ثم هـاجر إلى عشق آباد بعد ذلك، وتيسّرت له سبل التشـرف بمحضر الجمـال المبـارك في مناسبتين.
وقبل أن ينال مراد قلبه، صـادف أن تقابل مع القنصل الروسي في **أسـترأباد** الـذي وجَّه إليه أسـئلة عن الأمر المبـارك. وذات ليلة سـأله القنصـل:" في لـوح بهاء الله الذي وجَّهه إلى قيصر روسيا يقول :" إنا سمعنا ما ناديت به مولاك في نجواك" ، فماذا كان طلب القيصر في نجواه؟".
لم يكن لدى آقا محمد رحيم جواب مؤكـد، فبـدأ جوابه بقولـه:" أظن أن حكّـام مختلف الأمم لا يســألون الله إلا تأييــدهم في التغلب على أعــدائهم وفتح بلاد جديـــدة، وبما أن الجيش الروسي قد هُـــزم في معركة **سباســـتبول** فلا بد للقيصر أن أبــدى في صــلواته أمنيته في التغلب على الإمبراطورية العثمانيــة".
بعد ذلك أخذ آقا محمد رحيم يساوره الشك في صحة ما قاله.
وعنـدما أتى عكـاء ذهب إلى مـنزل الضـيافة، وهنـاك زاره عبد البهـاء وبـادره بالسؤال عما دار بينه وبين القنصل الروسي، فشرح لحضرته تفاصـيل الحـديث وذكر بأن جوابه كان بعيـداً عن الحقيقـة. أكّد له عبد البهـاء بأنه لا داعي لعـذاب الضـمير ، ذلك لأنه في أحد الأيـام قـال له الجمـال الأبهى:" في هـذه اللحظة بالذات يُتلى لوح القيصر، ويسأل القنصل أحد الأحباء عن طبيعة رجاء القيصــر، وقد أعطى الجواب الصحيح واسمه آقا محمد رحيم أصفهاني.
هـذه الكلمـات من عناية المـولى قد غمـرت آقا محمد رحيم ببهجة فائقة حيث تأكد بأنه لم يخطئ فيما قاله للقنصل.

(فقرة من كتاب محمد علي فيضي ص 104)

_ 57 _

من كلمات عبد البهاء رواها الدكتور ضيا بغدادي كما سمعها في محضر حضرته:
" أن يسـتحمَّ الإنسـان نعمة كـبرى. كـان بـالقرب من ثكنـات الجيش في عكـاء حمّام عمومي يكاد ينهار، فأخـذتُ في ترميمه ليسـتعمله الجمـال المبـارك، إلا

أنه بعد مغادرة الثكنات لم يكن من السهل الاستحمام فيه وازداد الأمر صعوبة وبقي كذلك إلى أن اقترضت بعض المال لترميم الحمام في بيت عبود، وأصبح بالامكان الحصول على ماء ساخن في نصف ساعة مما أدخل السرور الغامر إلى قلب الجمال الأبهى، واستطعت سداد الدين خلال أربعة أشهر.

_ 58 _

كان أحد الأحباء القاطنين في القسطنطينية في فقر مدقع، فطلب من أحد المسافرين إلى عكاء بقصد الزيارة أن ينقل توسله إلى الجمال الأبهى وهو في محضره أن يشمله ببركاته وتأييده لعل تنفرج ضائقته الماليه. نقل الزائر مطلبه لبهاء الله الذي ردّ قائلاً:" سوف ندعو له، وعليه أن يشتغل بتجارة القطن".
بعد مدة، وبينما كان ذلك الزائر في طريقه إلى الأرض الأقدس مارّاً بالقسطنطينية، لاحظ أن ذلك البهائي الذي كان في فقر مدقع قد أصبح تاجراً مرموقاً، فلفت نظره قائلاً :" ها قد نِلْتَ الآن قسطاً من الثراء، فعليك دفع حقوق الله بانتظام". أجابه التاجر بلا مبالاة :" إن إلهي الآن هو الذهب ".
استمر الزائر في طريقه حزيناً، وذات مرة وهو في الأرض الأقدس، سأله الجمال المبارك عن أحوال ذلك التاجر، فأخبره بما قال فأجاب حضرته :" لقد أعطيناه ذلك " الإله " وإننا لقادرون على أخذه منه ". وفي طريق عودته سأل الزائر عن التاجر في القسطنطينية فأخبروه بأن تجارته قد بارت وخسر كل ما يملك وطَفِقَ دائنوه يلاحقونه. وهو على حاله تلك، أرسل التاجر رسالة إلى المحضر المطهّر يسأل العفو والمغفرة ، فأمره بهاء الله أن يذهب إلى باكو وينشغل في نسخ الألواح المباركة في حظيرة القدس هناك. أطاع الأمر وختم التاجر حياته في باكو.

_ 59 _

في أحد الأيام علّق الجمال المبارك بقوله: " إن الأحاديث النبوية التي تناقلتها الأجيال عبر العصور كانت سبباً في خراب العديد من البيوت ومصدراً للانقسام والشقاق ثم الآلام والمحن ".

_ 60 _

كثيراً ما ذكر الجمال الأبهى بأن : " هناك أربع سجايا أحب أن أراها في الناس ؛ أولها : الحماس والشجاعة ، ثانيا : الوجه البسيم، ثالثا : أن يروا الأمور بعينهم لا بعين غيرهم ، رابعا : القدرة على إكمال العمل بعد البدء فيه.

والقصص التالية من مذكرات حاجي محمد طاهر مالميري الذي تشرف بمحضر بهاء الله في عكا عام 1878 ، وبقي هناك تسعة أشهر، وقد زوّدنا بها ابنه حبيب طاهر زاده :

_ 61 _

كلما حظيت بمحضر جمال القدم كان يجيب عن الأسئلة التي كانت تدور في ذهني في ذلك الوقت دون أن أذكرها، إلا أن هناك سؤالاً شغل ذهني وددت لو أطرحه حول مقام الأئمة في الإسلام، وهل هم متساوون أم متفاوتون بالمرتبة، وكنت كلما تشرفت بالمحضر الأنور يغيب عني هذا السؤال بالكلية، واستمر ذلك طيلة ستة أشهر تقريباً، إلى أن قررت أخيراً ألا أنسى وأخذت

أركّز تفكيري على هذا الموضوع فقط أثناء طريقي إلى قصر البهجة وحتى أثناء صعودي درجات القصر.
فجأة سمعت صوتاً بالتحية، فنظـرت إلى أعلى لأجد جمـال القـدم واقفـاً على رأس الــدرجات المؤدية إلى الغرفة الرئيســية. رحّب بي ثم دخــل، وبعد ذلك دعاني للجلوس، ومرة أخرى غاب السؤال عن ذهني.
بعد ذلك أخذ جمـال القـدم في إنــزال لـوح بحقّي بالفارسـية وهو يخطو جيئـةً وذهاباً، وفي منتصف اللوح توقف فجأة وقال :" أتى الأئمة من عند الله وذكروا الله ثم عادوا إلى الله". وهكذا وجدت جواب سؤالي بعد مضي شهور.

_62_

في إحدى زياراتي دعاني بهاء الله للجلـوس وأمر الخـادم أن يحضر الشـاي لأقا طـاهر. أحضر الشـاي وأبـديت فـروض الامتنـان، وما أن وقع نظـري على وجه حضرته حتى فقدت أحساسي بكل شئ تماماً إلى أن سمعت صوته يقـول لي : " أقا طـــاهر، لقد دلقت الشـــاي على عباءتك وهي لباسك الوحيد في طريق عودتك إلى أيــران، فليزمك أن تعالجهــا، أما من جهتنا فقد كنا نملك قميصــاً واحـداً طـوال إقامتنا في السـليمانية. وما أن انتهى حضـرته من كلماته حـتى وجدتني أحمل الصـحن بيـدي والفنجـان قد سـقط على السـجادة بعد أن تبللت ثيابي وعباءتي. وفي طريق عودتي إلى إيران سرق اللصـوص كل ما أملك عـدا هذه العباءة التي أصبحت كل ما لديَّ.

_ 63 _

اعتاد الجمال الأبهى أن يلبس في الشتاء رداءً طويلاً من الصـوف وفوقه عبـاءة ناعمة، وفي الصيف لباساً قطنياً ناعماً، وكـان له من غطـاء الـرأس " التـاج " بعدة ألوان منها الرمادي والأخضر الفاتح.

_ 64 _

ذات مساء، وبينما كان الجمال المبارك يخطو بخطواته المتَّئدة في باحة مـنزل آقا كليم وأنا مشـغول بـإرواء النباتـات والخضـروات، تقـدَّم نحـوي ثم أمسك بالحزام في وسطي وعلّق مبتسماً: لقد ربطت حزامك مرتخياً، على البـابي أن يحزم خصره بإحكام.

_ 65 _

كان منزلي ومنزل نبيل يقعان في حي يدعى **خان سوق أبيض** بجـوار مكـان إقامة آقاي كليم. وذات مساء تناول نبيل سُبْحتي وعلّقها في سقف بيته بشــكل أعجز عن أخذها، وعادة ما كنت أستعملها في تسبيحي أثناء التأمّل.
وفي إحدى المناسبات، عندما دعاني نبيل إلى منزله، صادف أن ذهب الجمـال المبارك إلى هناك أيضاً، ولما رأى السبحة سأل نبيل: " لمن هذه السبحة الـتي حبستها هناك؟" أجاب نبيل: إنها لآقا طاهر.
ومن جملة ما خاطبني به بهاء الله في تلك المناســبة: " في تبليغك الأمر الإلهي في يزد عليك أن تتكلم أولاً إلى من لهم اهتمام بسيرة حيـاة الرسل الســابقين وتاريخهم، ثم تنتقل معهم بالتدريج إلى ذكر هذا الظهور.

_ 66 _

بينما كنت ونبيل واقفيْن وبهاء الله جالساً على الكرسي، التفت نحوي حضــرته وقال : " سوف أقول لك شِعراً من نظم حكيم السَّنائي:

عيناك ما تراه غير الله ... خيال زائفُ
فاسحقه سحقاً ... كما فعل الخبيرُ
وذاك الذي لم يأتِ ... من مشيئة دنيويةٍ
إنه الأيمان فعلاً ... وعنه لا ترضى بديلا
وفي ثنايا القلب فيك ... ازرعه عميقا

نُقلت القصص التالية وأُعـدت من مـذكرات المـيرزا علي أكـبر الكاشـاني الـذي تشرف بمحضر بهاء الله في مناسبات عدة :

_ 67 _

كان الجمال المبارك في عكا حينما تشرفت بمحضره الأنور لأول مرة، وعنـدما قادني الخادم إلى الداخل غمرتني الفرحة وخانتني الشـجاعة. وفي تلك اللحظة سمعت صـوت بهـاء الله يـدعوني للـدخول، فمَثُلْت بين يديه ثم جلست بعد أن أبديت بالغ خضوعي لخدمة عتبته المقدسة. قُدِّمتْ لي الشاي نزولاً عند طلبــه، ثم تفضل ببعض الآيــات المقدسة وأردف قــائلاً: " لتكن أفعالك مرشــداً لبــني البشر حتى يتمكنوا من مشاهدة علامات الله وتعاليمه من سلوكك وأخلاقك.

_ 68 _

ذات صباح وأنا في البيت المبارك في عكا سمعت بهاء الله يشرح بأن الإنســان غير معصوم والله غفـور رحيم وفي الـوقت نفسه سـتّار للعيـوب. ثم أضـاف :" وهكذا يجب أن يكون الأحباء متسامحين تجاه أخطاء الآخرين. أخبرهم ألاّ يهتموا بأنفســهم فقط ، بل في تركـيز اهتمــامهم بــأمر الله ، ذلك بــأن ما يُرضي الله إشاعة الوحدة بين الأحباء ". وبعد ذلك قدم لنا حضرته قطعاً من سكر النبـات ، ولما مددت يدي لأخذ السكر بادرني بالسؤال مبتسماً :" ألم تُحضِرْ منديلك ؟".

_ 69 _

في صبيحة أحد الأيـام كنت في محضر الجمـال المبـارك في مقـرِّ إقامته بقصر المزرعـة. كـان يمسك بيـده خطابـاً عنـدما التفت إلى الخـادم وسـأله عما إذا قُدِّمت لنا الشاي وقال :" قدّم الشاي لضيوفنا، إن مياه عكاء تسـبب المتـاعب للمعدة والشاي أفضل ". بعد ذلك طلب منا أن نذهب للتنزُّه.

_ 70 _

كنت مقيماً في الموصل بالعراق عندما أُصبت بعسر الهضم وأقسـمت وقتها ألاّ أقــرب البطيخ ثانية ما لم يــأمرني بهــاء اللــه. وذات مســاء، كنت في قصر المزرعة والجمال المبارك يجلس بـالقرب من بركة صـغيرة، أخبرنا بـأن محمد شـاه قد أصـدر حكم إعـدامنا، وبـدل ذلك وافته المنيّـة، ثم التفت إليَّ وقـال : اذهب وتناول قليلاً من البطيخ.

_ 71 _

وصلتُ حديقة الرضوان قبل الظهر بساعتين وكان الجمال المبارك جالسـاً على أريكة. اقترح حضرته أن تتلى المناجـاة، فتلاها أحد الأحبـاء المعـروف بالصـوت الجميل. امتدحه بهاء الله بقوله : " بارك الله فيك، سوف ينقاد الناس إلى هـذا الأمر بـالخلق الحســن. لقد صــرح الإمــام علي بقولــه: لو أن ابن أبي طــالب (مشيراً إلى نفسه) قد دخل بيتك المعمور وأدرك عدم رضائك عنه، فماذا هو بفاعل؟!.

_ 72 _

وفي مناسبة أخرى، بينما كان الجمال المبارك يتمشى في حديقة الرضوان ذكر بأنه: جـاء في كتـاب الله أن مَنْ يـؤمن بهـذا الظهـور سـوف يُنعِم الله على أبيه وأمه بالغفران أيضاً.

_ 73 _

في إحـدى الأمسـيات بـالخريف، كـان لبعضـنا عناية التشـرف بمحضر الجمـال الأبهى في حديقة الرضوان. كان الطقس بارداً، فنصحنا حضرته بأنَّ على جميع الزائرين أن يناموا داخل الغرف المجهّزة اتّقاءَ البرد، ذلك لأنهم بدون معــاطف ثقيلة.

_ 74 _

ذات صـباح بعد شـروق الشـمس بثلاث سـاعات وأنا في حديقة الرضـوان خطر ببالي فجأة بأنني حتى الآن لم أحْظَ ببركـات بهـاء الله بمخاطبته أيـاي. في تلك اللحظة بالــذات ســمعت صــوته بــأذني يــدعوني إلى حيث يقف أمــام أمــاكن الجلــوس في المــنزل. وبينما أنا مقبل إليه تفضل قــائلاً : " أنت ضـيفنا اليـوم، ولن تَعْدِمَ ذكرَ الله وكلماته بإذنه تعالى ".

_ 75 _

بينما كان بهاء الله جالساً على أريكة في حديقة الرضوان بإحدى الأمسيات وهو يرسل بنظراته إلى الشــموع المُضــاءة علّق قــائلاً : " لم يكن حضــرة الأعلى (الباب) ليعتبر أن الإضاءة نوع من الإسراف ".

_ 76 _

في ظهـيرة أحد الأيـام، بينما كنا بمحضر بهــاء الله في حديقة الرضــوان وكـان الخادم قد قدّم الشاي لعبد الكريم، أحد الأحباء، علّق جمال القدم مبتســماً :" أتُقدِّم الشاي لبائع الشاي عبد الكريم ؟!".

_ 77 _

كان جمال القدم جالساً على أريكة وأنا بجانبه واقف عندما نصـحني قـائلاً :" لا تبقَ تحت الشمس، اذهب وتمشّ في الحديقة، استرخِ واستمتِع".

_ 78 _

وفي مناسـبة أخـرى في حديقة الرضـوان طلب منا الجمـال المبـارك أن نقتلع بعض الأعشاب هنالك، فبدأنا العمل. إلا أنه بعد ربع ساعة تفضل :" هذا كافٍ، أوقفوا العمل".

_ 79 _

تجمّع الأحباء كلهم ذات يوم في حديقة الرضوان، وكان الجمال المبارك جالساً على أريكة حين حضر الخادم ومعه الخبز والشاي وقدّمهما لي. حملت الخبز بيد والشاي بالأخرى، وشعرت بمنتهى الخجل أن آكل بمحضر بهاء اللــه، ومع ذلك أمـرني الخـادم بالأكل فأطعتـه. دام الاجتمـاع فـترة لا بـأس بها وكـان خطـاب الجمال الأبهى طويلاً إلى حدٍّ ما.

_ 80 _

ذات يوم، وأثناء الغداء، طلب مني الجمال المبـارك أن أسـتدعي غلام حسـين ليشاركنا الطعـام. تعجبت للأمر لأن رفيقي يـدعى الحـاج غلام علي . ذهبت إلى آخر الحديقة ووجـدت هنـاك غلام حسـين وليس الحـاج غلام علي، فأخبرته أن الجمال المبارك قد أرسل في طلبك.

_ 81 _

ذات يــوم في حديقة الرضــوان طلب مــني الجمــال المبــارك أن أجلس، فلما هممت بالجلوس على الأرض قـرب أريكته الـتي كـان يجلس عليها قـال لي : " علي أكبر، لا تجلس هكذا، تعال واجلس هنا على الأريكة".

_ 82 _

ذات صـباح، بعد الشـروق بسـاعتين، كنت بمحضر الجمـال الأبهى في الجنينة (حديقة شمالي عكـاء) . قـدّم لي حضـرته كوبـاً من الحليب الـذي كنت توّاقـاً لشربه، إلا أنني خجلت أن أشربه وأنا في محضـره، فـذهبت إلى غرفة أخـرى وشربت الحليب ثم عدت. كانت أحاديثه في ذلك اليوم حول الصخب الذي أثاره رجال الدين في كاشان وما أصاب الأحباء هناك من أذى وإهانات.

_ 83 _

ذات يــوم تجمّع عــدد من الزائــرين في غرفة بالطــابق الســفلي لقصر البهجة يتحدثون في أمور حياتية عندما حضر الجمال المبارك وظهر فجأة ثم علّق قائلاً :" مثل هذه المواضيع لا تستحق الاهتمـام، فما بـالكم أن ينشـغل الإنسـان في ذكرها !". ثم حدّثنا عن الشخصية اللامعة بـديع، الـذي حمل لـوح بهـاء الله إلى الشاه ثم نال الشهادة، وكذلك عن سيد أشرف زنجـاني وعـدد آخر من الأحبـاء الذين تجرعوا كأس الشهادة أيضاً. وبعد ذلك استأذنّا بالانصراف وغادرنا.

_ 84 _

استدعاني بهاء الله ذات يوم إلى قصر البهجة، ولدى وصولي رأيته يحمل بعض الألواح المباركة. تلا أحدها بينما كان واقفاً ثم قال:" هـذه الألـواح تخص الأحبـاء في **خلاج أباد** وأحدها موجّه لك".

_ 85 _

في يوم عيد الأضحى المبارك عند المسلمين، تشـرفت وجنـاب زين المقـربين بمحضر الجمال المبارك. في تلك المناسبة تلا حضرته اللوح النـازل بحق الحـاج ميرزا حيدر علي كاملاً والذي يبدأ بالكلمات التالية :" إن هدف الحق جـلّ جلاله من إظهـــار نفسه لبـــني البشر هو الكشف عن الــــدرر الكامنة في حقيقة كينوناتهم".

_ 86 _

بينما تجمّعنا ذات مساء في منزل آقاي كليم، شـرَّفَنَا الجمـال المبـارك بزيـارة. في تلك المناسـبة أفـاض علينا بقولـه:" ونحن في السـجن الأعظم لم نعاشر الرسميين ولا عامة الناس، وتركنا هذه المهمة الصعبة للمولى عبد البهاء. وفي بغداد غالباً ما كنا نحادث الزائرين حتى بعد الغروب بست ساعات.

_ 87 _

بينما كنت ذات مســاء في محضر الجمــال الأبهى في قصر البهجــة، تحــدث حضرته في مواضيع شتى وأشار في إحداها أنه عندما كـان مسـجوناً في سـياه جال، حضر الجلاد واصطحب معه أحد الأحباء لإعدامـه، إلا أنه سـرعان ما عـاد ومعه الضحية التي اختارها وكان نحيفاً. نظر الجلاد إلى الملا زين العابدين، من أهالي يزد وكـان ممتلئ الجسم وقويـاً وقـال:" تعـال إنك ألْيق للإعـدام". فقـام على التوّ وصافحنا ثم ودّعنا، وبهذه الطريقة نال الشهادة، وأضاف حضرته بأن أحداثاً أخرى مماثلة وقعت في سجن طهران.

_ 88 _

ذات صباح كان لي شـرف الحضـور إلى قصر البهجـة. جلست قـرب البـاب لأن القاعة كانت تغصُّ بالزائرين، ثم سـمعت صـوت الجمـال المبـارك بكل وضـوح يقول الكلمات التالية:" لقد سافرتَ إلى بورسعيد وعدتَ الآن، فأهلاً بكِ". ومع أن عينيَّ كانتا شاخصـتين على محاسن وجهه الكـريم، فلم أفطن إلى أنه كـان يخاطبني إلا عندما نبّهني أحد الأحباء من كرمنشاه، الـذي كـان يجلس بجـانبي، فأدركت عندها أن حضرته قد خصَّني بعبارته اللطيفة تلك.

_ 89 _

بينما كنت لوحدي بمحضر جمال القـدم في قصر البهجة قـال لي:" كل الأشـياء تجددت بطَرَفِ قلمنا".

_ 90 _

زرت قصر البهجة ذات مساء في شهر رمضان. كـان جمـال القـدم يخطو جيئـةً وذهاباً وشـعره حالك السـواد مسترسل على كتفيـه. خـاطبني حضـرته بصـوت واضح فيه شئ من الضحك:" علي أكبر، ماذا يقـول عنا أهل فـارس؟، وأردف قائلاً: هل لديك منديل؟ أريد أن أعطيك شيئاً من سـكر النبـات. فتحت منـديلي، وبقبضة يديه المليئـتين أعطـاني سـكراً وقـال:" سـوف أعطيك المزيد لتعطي بعضه للأفنان ".

_ 91 _

ذهبنا يومـاً إلى قصر البهجة لنحظى بمحضر بهـاء اللـه، وعنـدما كنت على بُعد خطـوات من غرفتــه، كلّمــني جمــال القــدم عــبر نافذته قــائلاً:" هل شــربت الشاي؟" فأومأت بالإيجاب، ثم دخلنا محضره الأنور.

_ 92 _

عنـدما ذهبت في أحد الأيـام إلى قصر البهجة وجـدت نبيل واقفـاً ببابه فـوقفت معه. بعد قليل خـرج الجمـال المبـارك يتبعه عـدد من الأحبـاء، ثم جـاء الخـادم ومعه طبق من الكعك المحلّي ليقدمه لنا في الحديقة، فـأعطى الجمـال الأبهى قطعتين لكل منا، ثم نهض وأخذ يتجـول في الحديقـة. كنا جميعـاً نتمشى خلفه حينما اسـتدار وقـال:" إنكم وازلتم تعتـبرون من المسـاجين . عـودوا ، فعنـدما تكونون عشرة معاً فكأنكم مائة في نظر الناس، وهكذا عدنا".

_ 93 _

كان الوقت يقترب من ساعة الأصيل ذات يوم وأنا في قصر البهجة عنـدما قـال لي الجمال الأبهى:" علي أكبر، لقد قـرأت رسـالتك". انحـنيت وقبّلت ذيل ردائه المبارك.

(من روايات ميرزا علي أكبر استلمت من جلال نطقي همايوني وعطا الله نطقي)

_ 94 _

من مذكرات جناب الحكيم رجب علي حفيظ الصـحة أُخـذت القصص الأربعة التالية :

كان السـفر من نجف أبـاد إلى الأرض الأقـدس في تلك الأيـام بوسـائط بدائيـة، فأحياناً على الدواب وأخرى مشياً على الأقـدام بما فيها من مشـقة وعنـاء، إلا أن كل ذلك يزول تماما من فكري عندما أتشرف بمحضر الجمال الأبهى.
وفي كل مرة أكون في محضره الأنور كان يتفضل عليَّ بحلٍّ لمشـكلات معقـدة تبدو لي مستعصية، وهناك أرى نفسي خادماً ضعيفاً عاجزاً مع أني كنت طبيبـاً كفؤاً ذا خبرة.

_ 95 _

عنـدما كـان الجمـال المبـارك ينشـغل بـإنزال الآيـات في بيت عبّـود، كنا نحن الزائرين نطوف حول البيت الذي نستمد منه فرحاً ونشوة لا يوصفان.

_ 96 _

ذهب الجمال المبارك ذات يوم إلى حديقة الرضوان، وأراد الخادمون أن يقدموا له ماءً محلى، فأحضـروه في قُلَّةٍ من الفَخَّار. وفي طـريقهم لاحظـوا أن المـاء يتسـرب من ثقب صـغير فيها مما أحـزنهم كثـيراً. أمسـكتُ بالقُلة وأدخلت في الثقب قطعة من الخشب لففت حولها شـــريطاً من الجلـــد. سُـــرَّ الخـــادمون وسـردوا القصة للجمـــال الأبهى الــذي هنأ الحكيم قــائلاً بابتســامة عريضــة:" أحسنت ياحكيم، باستطاعتك أن تسدّ ثقباً في قُلّة".

_ 97 _

بينما كنت في محضر بهــاء الله التفت إليّ وقــال:" يا جنــاب حكيم، كنت في الليلة الماضـية أسـمع بكـاء وحـنين أطفالك في إيـران، فهم في أمسّ الحاجة لوجودك معهم، فيمكنك وباقي الزائرين المغادرة الآن، عودوا إلى إيران وآمل أن تلقوا المساعدة في القيام بالزيارة مرة أخرى، بقي لكم من الإقامة عشرة أيام وستحظون بمحضرنا ثانية وقتما تشاءون، في أمان الله ".

غادرنا المحضر المقدس والدموع في عيوننا حزنا وأسـى، ودوّنتُ في مفكّـرتي تاريخ تلك الليلة التي ذكر فيها محنة أطفالي.

في اليوم العاشر في الوقت المحدد أخـذت أطـوف حـول القصـر، وكـان بعض الزائرين قد طلبوا تمديد إقامتهم. خرج الجمال المبارك إلى شرفة القصر وقال لي:" أحسـنت يا حكيم، فالإيمـان يقتضي إطاعة أمر اللـه، أنت أول من أطـاع أمرنا بين الزائــرين دون أدنى تــردد أو طلب تمديد الإقامـــة، فـــأطعتَ أمرنا وتهيأتَ للرحيل".

وعنـدما اقـتربت سـاعة الرحيل أفـاض علينا الجمـال الأبهى بتعليمـات محـددة، وأعطى كل زائر منا بعضــاً من الكعك والبقلاوة، وعنـــدما جــاء دوري مـــددت طـرف عبـاءتي حـتى لا يقع شئ على الأرض، فعلّق الجمـال المبـارك بقولـه:" أحسنت ياحكيم على البهائيين أن يكونوا أذكياء فطنين . في أمان الله".

بعد مغادرتنا القصر بقليل قال لي شخص مسنٌّ في مجموعتنا:" يا حكيم، إنـني رجل عجوز فخذ حصتي من الكعك واعطني حصـتك من البقلاوة حـتى أسـتطيع أكلها" . قبلت طلبه وأعطيته بعضاً منها واحتفظت بالباقي مع الكعك في مكــان آمن لعل يصل الكل إلى إيران صالحاً.

بدأت رحلتنا بالحزن والدموع، وما أن سرنا قليلاً حتى لحق بنا رسـول من قِبَل الجمـال المبـارك يمتطي حصـاناً ويحمل رسـالة يـدعونا فيها حضـرته للرجـوع، فعدنا والفرحة تغمرنا. كان الجمـال الأبهى في الطـابق العلـوي من القصر حين وصلنا. انحنينا احتراماً ثم قال مبتسماً:" أيها العجـوز، لقد أعطيتُ الحكيم كمية من الكعك تكفي سـبعة أجيـال من سـلالته وأنت أعطيتَه كعكـاً أيضـاً". بعد هـذا التعليق اللطيف قـدَّم حضـرته المزيد من الكعك للعجـوز قـائلاً:" إن هـذا الكعك ليس للأكل بل لجلب البركـات فخـذه معك إلى إيـران، ويمكنكم أن تسـتريحوا اليوم وتبدأوا رحلتكم غـدا ". وهكـذا غادرنا إلى إيـران بعد أن فزنا بمـراد قلوبنا ليس بمحضر جمـال القـدم فقط بل وعبد البهـاء أيضـاً واسـتمعنا إلى النصـائح والإرشادات.

ولما وصـلت إلى نجف أبـاد واجتمعت بأسـرتي علمت أنه في تلك الليلة الـتي أحسّ بهاء الله بأنين أطفـالي قد أصـيبوا بالجـدري وعـانوا خطر المـوت(خاصة ابني الوحيد) ، وفي تلك الأمسية بالذات تضرعت زوجــتي خديجه إلى الله في صـلاتها قائلـة:" يا إلهي، هل من العـدل أن يمـوت أطفــالي بسـبب وحـدتهم وافتقارهم إلى الدواء ووالدهم بعيد عنهم! أسألك يا إلهي الرأفة والرحمة".

وحدث أن بدأت أحوال الأطفال بالتحسّن في تلك الليلة بالـذات، وبفضل عناية بهاء الله نجوا من الموت.

(من مذكرات حفيده عزت الطبيبي نجف أبادي)

_ 98 _

يـروي أقا محمد التـبريزي كيف أنه كـان من أربعة أطفـال أو خمسة اعتـاد أن يـذهب مع أسـرته إلى قصر البهجة كل يـوم جمعة على عـادة الأحبـاء آنـذاك

للتشرف بمحضر الجمـال الأبهى حيث كـانوا يمضـون النهـار في غـرف الطـابق السفلي منه.
في إحدى الزيارات، بينما كـان الكبـار في قيلولة داخل الغـرف والطقس حـارٌّ، تــرك (آقا محمد التــبريزي) غرفته وأخذ يتجــول في القصر حــتى بلغ الطــابق العلوي ودخل قاعة كبيرة ومنها إلى غرفة تُخَزَّن فيها المـواد التموينيـة، وهنـاك لاحظ وجود كيس ملئ بالسـكر، وبشـكل تلقـائي أخذ حفنة وملأ بها فمه ثم ملأ يديه قبل أن يغـادر الغرفـة، وعنـدما رجع إلى القاعة تسـمَّر في مكانه إذ وجد الجمال الأبهى يتمشى ذهاباً وإياباً. وبكل هدوء ولطف تقـدّم منه حضـرته ونظر إلى يديه نظـرة حب وحنــان ثم أخــذه إلى طاولة كبــيرة وسط القاعة وأمسك بطبق من الحلـوى وأعطى واحـدة منها للطفل الـذي أخـذها بيديه المقبوضـتين وقال له بهاء الله:" يبـدو أنك تحب الحلـوى ! كُـلْ جيـداً ومع السـلامة، حفظك الله". وبعد سنوات كان آقا محمد يشرح لأقرانه الأحباء بأن أحداً لا يسـتطيع أن يقدِّر في ذلك الوقت المشاعر الـتي انتابته في طفولته ومحبته للجمـال الأبهى، محبة لم تفارقه منذ تلك اللحظة.
(من جلال نخجواني)

_ 99 _

قيل لنا أن جنـاب ورقا (مـيرزا علي محمد ورقا الشـاعر الشـهيد) حين تشـرف لأول مرة بمحضر بهاء الله واستضاءت عيناه بنور محيّاه كان مدركاً إلى حدٍّ ما ذلك الجمال اللامثال، وأنه تكحّلت عيناه به سابقاً، إلا أنه لم يستطع أن يتــذكر متى وأين شملته هذه النعمة.
حظي ورقــاء عــدة مــرات بالمحضر الأنــور وبقي على حيرته إلى أن خاطبه الجمال المبارك في إحدى زياراته قائلاً: " ورقا ، احـرق أصـنام خيالاتك الواهمة ". وما أن سمع تلك الكلمات حـتى اسـتعاد في ذاكرته وقت صـباه حينما بـورك بمشاهدة طلعة بهاء الله في حلمه، وفيه: كان يلعب بألعابه في حديقة صـغيرة كانت ملكاً لعائلته. وبينما هو كذلك جـاءه الله وأخذ منه ألعابه ورماها في النـار. ولما أفــاق من نومه حكى لوالديه أنه حلم بالله في تلك الليلــة، إلا أنهما أنَّبــاه قائليْن:" ما هذا الهراء، وكيف لإنسان أن يرى الله؟!". ومع الوقت غــاب الحلم عن ذاكرته إلى أن قــال له الجمــال الأبهى:" احــرق أصـنام خيالاتك الواهمــة". عندها تذكَّر ورقاء حلم الصبا، وبذلك أدرك تحققه في العالم المشهود.
(سليماني – المجلد الأول ص 253)

_ 100 _

روح الله الشهيد، وهو ابن ورقاء الشهيد أيضاً، كان عمره سبع سـنوات عنـدما تشـرف مع والـده وأخيه عزيز الله بمحضر جمـال القـدم. أخذ بهـاء الله يداعبه بســؤاله عما يمكن أن يفعله لو ظهر له القــائم الموعــود فجــأة وجهــاً لوجــه، وهوالذي ينتظره الشيعة (الباب). وبلا أدنى تردد أجاب روح الله : سـوف أبْلِغُـهُ بالتعاليم وبعون الجمال المبارك يصبح بهائياً.
(فاضل مازندراني المجلد 8 الجزء الأول ص 10)

_ 101 _

وصفٌ لزيارة جناب الحاج محمد عَلِيي أحمدوف المعلاّني :

رغم أني كنت مسلماً متعصباً، إلا أن تغييراً ملموساً أحسستـه بـداخلي عنـدما بدأت دراسة ألواح بهاء الله، خاصة عنـدما قـرأت اللـوح النـازل بحق المرحـوم حاج صفير، فاقتنعت بأن هذا الأمر موحى به من الله، هكذا كـان تـأثيره عليَّ. بيد أن سؤالا واحداً ظلَّ في ذهـني : كيف نُـزِّلت تلك الآيـات المباركـة، أكـانت بالتدريج أم مستمرة؟ . وددت لو حصلت على الإجابة بنفسي وأراها بـأم عيـنيَّ. لم يعرف أحد من الأحباء بهذا الموضوع وظل بداخلي.

ذات يوم صُرّح لي بالزيارة والحمد للـه، فشـددت الرِّحـال مع أخي إلى الأرض الأقدس ووصلنا أرض المقصود. بعد أن استعدنا نشاطنا من رحلة كـانت شـاقة، دعانا المولى إلى محضر الجمال الأبهى فتبعناه إلى غرفة خاصة وأزاح السـتارة ثم دخلنا.

كان الجمال المبارك يجلس على وسادة وفي مقابله كاتب وحيه ميرزا آقا جان، والكلمات تنهمر من شفتيه المباركتين كالسيل الدافق. دعاني للجلوس، وأثنـاء نزول الآيات طلب الماء ثلاث مرات، وفي عدة مواضع لم يسـتطع آقا جـان أن يلحق بكتابة التنزيل فكـان بهـاء الله يتوقف ليسـأله إلى أي نقطة وصل فيعيد حضـرته الجملة كما نـزلت تمامـاً، ويسـتمر في ذلك إلى أن ينتهي اللـوح. وفي تلك الأثناء كان وجه المبارك متوهجاً وجبينه يتصبب عرقاً.

انتهى نزول اللوح ثم التفت إلينا بهاء الله وقال:" أهلاً بكم، سُعِدنا برؤيتكم" ثم علّق :"بماذا يتكلم رجال الدين في إيران؟ إنهم ناظرون إلى أنفسـهم على أنهم المؤمنون حقاً، ويعدونا من الكافرين، مع أنهم يعجـزون عن الإجابة عن أسـئلة طفل، مجرد طفل بسيط. لقد حجب العلماء الأشرار الناس في كل العصـور". واسـتمر حضـرته في التحـدث بهـذا الاتجـاه، ولكن للأسف لم يرسخ بـذهني ما تفضل بـه. وفي الختـام دعانا إلى إطالة إقامتنا أيامـاً أخـرى لنعـود بعـدها إلى إيران مارّين بمكة.

وبعد أيام قلائل سُمح لنا بالمغادرة وانتهت زيارتنا.

(دوَّنه ابنه أحمد أسبقي)

_ 102 _

ذكر الحاجي مـيرزا حسن الشـاه أبـادي أراقي بأنه لاقى صـعاباً جمّة في رحلته من إيـران إلى الأرض الأقـدس، وفي الـوقت نفسه صـادفت زيـارة عـدد من الأحباء المصريين الموسرين الذين كـانوا يلبسـون البـدلات الأنيقة ولم يختلطـوا بالحاجي الذي كان لباسه رخيصاً كعادة أهل القرى.

بعد أن دعا الجمال المبـارك الزائـرين إلى محضـره الأنـور وقف الحـاجي قـرب الباب احتراماً، فدعاه بهاء الله قائلا:" تعال واجلس بجانبي" . لم يتردد الحاجي هذه المرة وتقدم ليجلس بجانب بهـاء الله كما أمـره. وحين عـاد الزائـرون إلى الـبيت المبـارك في عكـاء في وقت لاحـق، تحلّق حوله الأحبـاء المصـريون وغمروه بلطفهم واحترامهم وبقوا كذلك حتى نهاية الزيارة.

(عن حفيده عطا الله سيروس)

_ 103 _

القصة التالية من أقا سـيد مهـدي كلبايكـاني كما سُـمعت من مـدوِّنها في عـدة مناسبات في عشق أباد:

أحد المتنفِّذين في أصـــفهان اعتنق الأمر المبـــارك، وســـرعان ما تـــبيَّن بعد معاشرته الأحباء أنه مدمن على تعـاطي الكحـول منذ أمد طويـل. فأخذ الأحبـاء بكل حكمة في حثِّه على ترك هـذه العـادة وكـان يجيب بأنه ابتلي بالإدمـان منذ سنوات ، والتخلص منه صعب جداً. وكلما حـاول أقرانه الأحبـاء أن يـبيِّنوا له أن الناس سيظنون أن البهائيين لا يلـتزمون بإطاعة أحكـام دينهم إذا علمـوا بـذلك، يجيبهم بأن هذا الموضوع لا يعلم به إلا الأحبـاء فقـط، ولما ذكَّروه بـأن الجمـال الأبهى على علم به قال بأن بهاء الله لا تهمه حياته الخاصة. مـرت الأيـام وتـرك الأحبـاء بالتـدريج مناقشـته بالموضـوع إلى أن واتته الفرصة وسـافر إلى الأرض الأقدس وحظي بمحضر بهاء الله. وبعد عودته زاره بعض الأحباء وأخبرهم قائلاً:
أيها الأحباء، إنني الآن على يقين بأن الجمال المبارك يعلم بالأسـرار المكنونـة، ولا فرق بين أن يكون الأمر سرّاً أو علناً، ولهذا السـبب لن أقـرب الكحـول بعد اليوم لأنني أرى حضرته دائماً حاضراً يرقُبنـا، واسـتطرد يقـول: في أول زيـارة لي ، وبينما كنا واقفين، أخذ جمال القدم يخاطبنا وهو يخطو ذهاباً وإيابًـا. كنت مأخوذاً بمهابة مشيته وأفكر في نفسي ؛ إنه مُعْتَـرَفٌ به مظهـراً إلهيـاً وموعـود كل الأمم، فماذا يعني وصـفه مقامه في بعض الألـواح على أنه مُرسِـل الرسل ومُنْزِلُ الآيات؟
ما إن تملَّكـني هـذا الفكر حـتى قطع الجمـال المبـارك خطواته ومشى نحـوي ووضع يديه المبـاركتين على كتفيَّ وقـال بكل عظمة وهيمنـة:" نعم هو كـذلك، مُرسل الرسل ومُنْزل الآيات، هذا هو مقامنا".
في تلك اللحظة فقدت قدرة التفكير، وبعدها أيقنت أن الوجود المقـدس الـذي يقرأ أفكاري بمقدوره أن يرى ظاهر أفعالي وأعمالي.

_ 104 _

كان المنافق الحاج ميرزا علي أكبر يضمر الشرَّ لبهـاء الله ولم يبح بـذلك. وذات يوم، وهو في محضر بهـاء اللـه، سُـلِّمت له رسـالة مختومة أمـره حضـرته أن يقرأها على تسعة عشر شخصاً من الأحباء. فضَّ الرسالة إطاعة للأمر المبـارك ووجدها تقـول: إذا كـان عبد الـرحمن بن الملجم(الـذي اغتـال الإمـام علي) قد أفادته قسوته فسوف تستفيد منها أنت أيضاً.

_ 105 _

والذكريات التالية دوّنها حاجي ميرزا حيدر علي:
كان جمال القدم يتكلم في عـدة مناسـبات عن خـدمات ومقـام الغصن الأعظم عبد البهاء حيث قال:" خلال إقامتنا في بغداد كثيراً ما كنا نقابل الأحباء وغـيرهم من هنا وهنـاك خلال ارتيادنا المقـاهي، وكـان على كاهل الغصن الأعظم عبء تلك الأيـام الصـعبة ومسـؤولياتها، كما أنه تحمل أصـعب منها بكثـير واجهتنا في أدرنة، والآن في عكاء يُثْقِلُ كاهله مِحَنٌ من كل لون وناحية. لم نكن في بغــداد سجناء حسب الظاهر، ولم يكن الأمر المبـارك فيها بقـدْر ما هو معـروف الآن، ولا أعداء الأمر بما هم عليه الآن من القوة. في أرض السر(أدرنة) تحــدثنا إلى بعض الغرباء، أما في السـجن الأعظم (عكـاء) فقد أغلقنا أبـواب الاختلاط مع الآخرين، ولهذا تحمّل المـولى كل العنـاء في سـبيل راحتنا وتحسـين أوضـاعنا، فأصـبح هو تلك القلعة الأمنع والـدرع الأوقى لصـدِّ المعتـدين دُوَلاً وشـعوباً مما وفَّرَ لنا الراحــة. لقد أمَّن لنا قصر المزرعة وانتقلنا إليــه، وبعد ذلك حصل على قصر البهجة ونجح في النهوض بخدمة الأمر المبارك على شـأن لم يجد الفرصة

اسبوعاً تلو الآخر لزيارة قصر البهجة، وبينما نحن يُشغِلنا إنزال الآيـات والألـواح كان حضرته(عبد البهاء) بين أمواج المصاعب والشدائد لأن التعامل مع نفوس كتلك فيه المعاناة ما بعدها معاناة ".

وفي مناسـبة أخـرى قـال الجمـال المبـارك:" إن قـوة الغصن الأعظم وقدرته مكنونتـان الآن وسـتظهران قريبـاً، ولسـوف تتجلى عنه قـوة روحانية هائلـة، ويحمل راية الاسم الأعظم خفّاقة وحيـداً إلى أطـراف الأرض، وبقـوة تـأثيره سوف يجتمع الجميع في خيمة السلام والطمأنينة، وإذا كان لأحد يأتي عكـاء أن يلتقي أولاً بالغصن الأعظم ثم يجتمع بقليل من الأحباء الحقيقيين قبل مغادرتـه، سـيفيده ذلك تطـوراً روحانيـاً لا حصر لـه، لأنه سـيكون في منـأى عن الأفكـار الدنيئة وأفعال الأهواء النفسية. فلو كان للناس عيون يبصرون بها لرأوا علامات الله واضحة لا لُبْسَ فيها.

_ 106 _

كان الحاجي ميرزا حيدر علي ذات مرة في محضر جمال القدم وآيات من لـوح الرئيس ولوح السلطان تُتلى (الرسالة الموجهة لناصر الدين شاه) . وفي مـرة أخـرى دُعِي الحـاجي مـيرزا حيـدر علي إلى القصـر، ولـدى دخوله أقبل إليه الجمال المبارك وقال بهدوء:" عَهِدْتُ بك إلى رعاية الغصن الأعظم".

_ 107 _

مرّت بضع دقائق والآيات تنهمر على الجمال المبارك حين توقف فجأة وخـاطب حـاجي مـيرزا حيـدر علي قـائلاً:" كنتَ حاضـراً حين نـزول الآيـات، فلو أن أهل العالم طُرّاً شاءوا أن يحضروا مثل هذه المناسبات لأذِنْتُ لهم".

_ 108 _

بينما كان حاجي ميرزا حيدر علي في المحضر الأنور كـان الجمـال المبـارك يتلو اللوح المعروف الـذي يبـدأ بقولـه:" إن هـدف الحق جل جلاله من إظهـار نفسه إلى العـالمين أن يكشف عن الـدرر الكامنة في حقـائق كينونـاتهم". وهو اللـوح الذي نزل بحق الميرزا حيدر.

(بهجت الصدور ص 251 – 4 ، 256 – 7 ، 248 ، 243)

_ 109 _

ذكر جمال القدم للزائرين والحجاج الإيرانيين في عدة مناسـبات بـأن عليهم أن يُخبروا الآخرين دوماً بـالمعنى الحقيقي ل " الوحـدة الإلهية " خشـية أن يقنعـوا بأوهام خادعة، وأوضح حضرته أنه لا بـدّ لهم أن يوقنـوا – بعيـداً عن أي شُـبهة- بـأن " الوحـدة الإلهية " تعـني أن مظـاهر الله من أولي العـزم هم في الحقيقة روح واحد فريد لا مثيل له، وما دونهم ، مهما كان مقامهم دون استثناء، خُـدّام خاضعون كلياً لمطلِع الظهـور الإلهي، وكما قـال تمامـاً أمـير المؤمـنين الإمـام علي:" ما أنا سوى خادم خدّام محمد ".

(نبيل)

_ 110 _

استعاد في ذاكرته أقا رضا سعادتي، من المؤمنين الأوائل، الحادثة التالية :

أقمت في يزد حينما كنت مسلماً إذ حضرت يوماً حديثاً قدّمه اثنان من العلمـاء من على المنبر حـول الآلام الـتي تحملها الإمـام الحسـين. بكيت لدرجة أحـزنت الجميع، وكنت في أعماق قلبي أتوق إلى مشاهدة جمال طلعة الحسين. انتهت جلسة الذكرى تلك وتفـرّق الجمـع، وبعد خـروجي تقـدم نحـوي أحد المتحـدِّثيْن وسألني: ما سبب بكائك ونحيبك؟ أخبرني بما ترغب وسوف أحققه لـك. أجبتـه: أريد أن أزور الإمـام الحسـين. قـال: بكل تأكيد سـوف أتكفل بكافة مصـاريف رحلتك فـتزور كـربلاء بكل شـرف وعـزة.أجبتـه: جُعِلت فـداك، بل أريد أن أرى الحسين عياناً وليس بزيارة ضريحه المقدس فحسـب. رد الرجل قـائلاً: والحالة هذه ! مع السلامة، ليس لديَّ ما أُقدِّمه لك.

سـرت قليلاً وتقـابلت مع العـالِم الثـاني وجـرى معه الحـديث نفسـه. مـرَّ بعض الـوقت، وتـركت يـزد لأقيم في عشق أبـاد، وهنـاك اعتنقت الأمر المبـارك، وبـدافع التلهّف والشـوق والمحبة أسـرعت إلى الأرض الأقـدس فقط لأحظى بطلعة جمال القدم.

" أهلاً أهلاً - هكذا بادرني بهاء الله حالما تشرفت بمحضـره- تعـال واجلس، ثم أضاف : " الحمد لله الذي مكّنك من مشاهدة جمال طلعة الحسين".

تذكرت حينها ما حدث لي في يزد والاحتفال بذكرى الإمام الحسين وحـديثي مع العالميْن وشدة توقي إلى مشـاهدة طلعة الحسـين المقدسـة، فوجـدت نفسي مندهشاً ومنصعقاً وأنا أُحدِّق في طلعة بهاء الله.

وفي مناسبة أخرى بينما كنت في محضره المبارك طلب مني أن أذكر أسماء ستة من المؤمنين، وقبل أن أنطق ذكَرَ حضرته الأسماء الستة وقال:" لقد قُبِل حَجُّهم". وقبل أن أذكر أسماء آخرين تفضل:" أما الآخرون فحجُّهم مقبول أيضاً".

(كما سردت لأقا رضا في عشق أباد)

_ 111 _

سجّل آقا ميرزا محمد باقر الطبيب الشيرازي أنه ذات يـوم عنـدما انتهت فـترة الزيارة وإقامة الزائـرين، منحهم الجمـال الأبهى إذن المغـادرة وطلب مـني أن أبقى.

تفضل لي بكلماتـه:" إن عائلتك تهمها سـلامتك، فعُـدْ إلى بيتك وانشـغلْ بتبليغ أمر الله".

بعد ذلك منحه بهاء الله قطعة من النقود صغيرة وأخبره بـأن يغـادر إلى شـيراز برّاً. ولما كـان مـيرزا بـاقر قد رجا جمـال القـدم أن يخصّـه بلـوح مبـارك، فقد أمسك حضرته بمقلمة على الرف العلوي وتناول ريشة الكتابة وسـنَّ طرفها ثم أنزل اللوح وسلّمه إياه.

وحيث إن ميرزا باقر كان طبيباً، فكـان النـاس يهرعـون إليه كلما مـرَّ بمدينة أو قريـة، وبـذلك اسـتطاع أن يغطي نفقـات رحلته بل ويـدَّخر بعض المـال بفضل بركات قطعة النقود الصغيرة من بهاء الله.

وبعد أن وصل شـيراز والتقى بأسـرته عـرف أنه يـوم دعـاه الجمـال الأبهى إلى محضره كانت زوجته تتضرع إلى الله أن يُعيد زوجها إلى البيت سالماً.

(عن حفيده د. عطا الله نديمي شيرازي)

_ 112 _

تعيد خاتون جان إلى ذاكرتها يوماً وهي في الزيارة إذ تقدّم الجمال المبارك نحو الطاولة ليتنــاول أبريق الشــراب، فلاحظت أن الإبريق تحــوم حوله الــدبابير، لذلك أومأت بعينها إلى أحد الخدّام ليقوم بحماية بهاء الله منها.
علّق بهاء الله بابتسـامة:" لم نَخَـفْ من حكـام الأرض، وتعتقد خـاتون جـان أن بعض الحشرات تضطربنا ! ".
(جناب الناطق _ تاريخ كاشان _ غير المنشور)

ترجع القصص التالية إلى شهور تسعة من الحج بين عامي 1891 _ 1892 لآقا ميرزا أفنان وعائلته بناء على دعوة بهاء الله لهم . كان جناب أفنان في صحبة جدة حضرة شوقي أفندي وأحد الخدام .

_ 113 _

كان اليوم العاشر من ذي الحجة عام 1308 ه الموافق 18 يوليو/ تمــوز 1891 م عندما وصلت باخرتنا إلى ميناء حيفا وأنزلت المرساة قبل الفجر بقليـل. جـاء جنـاب المنشـادي ليسـتقبلنا بنـاء على أمر بهـاء اللـه، وبعد أن مررنا بمصـلحة الجمارك قادنا إلى خيمة جمال القدم المنصـوبة على سـفح جبل الكرمـل. كـان الطقس لطيفاً منعشـاً والشـمس لم تشـرق بعـد. دخل أحد الخـدام وقادنا إلى البيت بمحضر الجمـال الأبهى، أزاح السـتارة وشـاهدنا هيكله المقـدس وطلعته المنيرة ؛ يا له من بلسم عطري للعيـون تشـاهده منتصـباً وسط الغرفـة. جلس على أريكة ودعانا للجلوس. ركعت وإخوتي الثلاثة على الأرض وكـان خـادم الله آقا جان يجلس قرب السماور ولـوازم الشـاي أمامـه. طلب منه الجمـال الأبهى أن يقدم الشاي لنا ثم خاطبنا بالكلمات التالية:" يا ورود حديقة الزهـور للأفنــان المشـرفة، أهلاً أهلاً. حقـاً كـانت مغـادرتكم شـيراز صـعبة، ولكن بفضل عناية المولى ومجهودات جناب الأفنان استطعتم القيـام بالرحلة إلى الأرض الأقـدس، ومع أنكم في البحر واجهتم الموت ، إلا أن الله العلي القدير شـملكم بحفظـه. تــدبّروا كيف أن في هــذا اليــوم بالــذات ينهمك بضع آلآف من النــاس في مكة بالهرولة بين الصفا والمـروة بينما محبـوب العـالم في هـذه البقعـة، متجـاهلين وغير مدركين ولا واعين بأنكم أنتم الحجاج الحقيقيون".
وبينما كانت الكلمات تخرج من شفتيه تذكرت بعض السطور التي كتبها مولــوي (جلال الدين الرومي)

أيها الحاجُّون يا من أديتم مناسك الحج
إلى أين ، أين أنتم ؟
فالمحبوب ها هنا
تعالوا كلكم ، وتقدّموا

واستدار نحوي بهاء الله وقال :" لقد ذكر المتصوفون هذا أيضاً ".
ثم أعــاد الكــرّة وطلب من الخــادم أن يقــدم لنا الشــاي، وبعد ذلك اســتأذنّا بالانصراف. وكـان قد اسـتؤجِر لنا مـنزل في حيفا بجـوار بيت الجمـال المبـارك لاستعمالنا.

_ 114 _

دُعينا ذات يوم لمحضر بهاء الله في الساعة الثالثة بعد الظهر وكنت أُعــاني من حمى شـديدة. قـال حضـرته:" أنت مصـاب بـالحمى، فهي فاكهة هـذه الأرض، وكل من يطأها يصاب بها، ثم أمر بتقديم الشـاي لنـا. وفي تلك اللحظة بـدأت

أتصبب عرقاً لدرجة تبللت ملابسي فـأمرني بهـاء الله : " اذهب وبـدّل كسـاءك ولن تصاب بالحمى ثانية ". وبالفعل لم أشـعر بـالمرض طيلة إقامتنا في الأرض الأقدس لمدة تسعة أشهر.
وحدث في ذلك الوقت تقريباً (ربيع عام 1891) أن استشهد سبعة من الأحباء في يــزد في يــوم واحد مما أغــرق الجمــال الأبهى في حــزن شــديد بحيث لم يتشرف بمحضره أحد طيلة تسعة أيام.
في اليوم التاسع دعا الأحبـاء إلى محضـره وشـرح بالتفصـيل ما فعله آل قاجـار وحادثة يزد وما أقدم عليه ظل السلطان وابنه جلال الدولة من أعمال وحشــية، واسترسل في حديثه طالباً منا ألاّ نحزن ونجزع أو نكتئب وقال:" إن شجرة أمر الله تُــروى بــدماء الشــهداء، وما لم تُــرْوَ فلن تنمو ولن تــؤتي ثمارها اليانعــة، وسرعان ما ستزول آثار هذه السلالة الحاكمة من صفحات التـاريخ وتُنَظَّف منها أرض فارس. لقد أقدم جلال الدولة على فعلة سالت بها دموع أهل الملأ الأعلى دماً".

_ 115 _

في الأول من محــرم عــام 1309 ه الموافق 7 أغســطس/ آب 1891 م دعا الجمال المبارك الأحباء لمشاركته الاحتفال بذكرى مولد الباب. ولما كان والـدي يعاني من الروماتزم ولا يرتاح في الجلـوس على الأرض، طلب من أحد الخـدام إحضــار كرسي له ثم الكراسي لأولاده، وهكـذا جلس جميع أفــراد العائلة على الكراسي.
في ذلك اليوم تجمّع الزائرون وسائر الأحباء في محضر بهـاء اللـه، وفي خطابه تكلّم عن أسباب الفرقة والشقاق الذي حدث في الدورات السـابقة ثم تفضـل، وهو يقدّم البقلاوة بيديه المباركتين لجميع الحاضرين:" هـذا هو اليـوم الـذي ولد فيه حضرة الباب فأضاء بنوره العالم. فلْتعمّ الفرحة والغبطة وتتضـاعف آلافـاً". وعندما انتهى حديثه أخذالحضور بالانصراف .

_ 116 _

في اليوم التالي، في الثاني من محرم، حلّت ذكرى مولد جمال القدم، فدُعي الأحبـاء والزائـرون مـرة أخـرى إلى محضر بهـاء الله الـذي تحـدث عن العظمة السـامية لهـذا الظهـور وقـوة القلم الأعلى وطبيعة نفيه ووصـوله إلى السـجن الأعظم، وتحدث بإسهاب عن المظالم التي نزلت به من طغاة الأرض ورؤسـاء الدين، وذكر أيضاً أن ناصر الدين شـاه والسـلطان عبد العزيز كانا أصل الظلم والاعتساف والابتلاء والأذى لهيكل أمر الله، وقسوة عبد العزيز كانت أشد بأساً لأنه نفى مظلـوم العـالمين إلى هـذا السـجن الأعظم دون أي سـبب. أما ناصر الـدين شـاه ، فبسـبب عمل طـائش أقـدم عليه نفر من الأحبـاء المتهـورين في أوائل أيام الأمر المبارك (محاولة اغتيال الشاه) ، قد أصـبح الشـاه كلما أحسّ بالرصاصة الصغيرة تحت جلده تملّكه الغضب وصبّ جام غضبه على الأحباء. ثم تلا بهاء الله سطرين للشاعر حافظ:

تلك أيام السمّ الزؤام
سرعان ما تزول وتغيب
وأيام حلوة كالسكر
لا بدّ أن تظهر وتعود

_ 117 _

حــلّ الخريــف، وانتقل الجمــال المبــارك بإقامته من حيفا إلى قصر البهجــة. اسـتؤجر مـنزل صـغير بجـوار القصر لأسـرتنا. وبفضل موقعه أمكننا رؤية غرفة بهاء الله، ولدى قيامنا للـدعاء في الأسـحار غالبـاً ما كنا نشـاهد غرفته مضـاءة والجمال المبارك يخطو ذهاباً وإياباً يُملي على كاتب وحيه الآيات المقدسة.

_ 118 _

نزولا على طلب حضرة بهاءالله كنت وأخـويَّ مـيرزا بـزرك ومـيرزا ضـيا نتلقّى كل يــوم دروســاً من مــيرزا يوسف خــان وآقا ســيد أسد الله قمي في غرفة بالطابق السفلي من القصر، وكان مشكين قلم يعلّمنا فن الخط أيضاً.

_ 119 _

لأن تكون في محضر جمال القـدم سـاعة الفجر في عـدة مناسـبات وهو يـنزل الآيات المقدسة وتُملى على ميرزا آقا جان، لهو شرف طالما تمنيته. كـان على خـادم الله أن يـبري رِيَشَ الأقلام بنفسه ولديه دائمـاً كمية من الـورق والحـبر. كـانت الألـواح المباركة تـنزل بسـرعة تجعل القلم يفلت أحيانا ويطـير من يـده، وحالما يحــدث ذلك كــان يســرع بالتقــاط قلم آخر ليكمل الكتابــة. وفي بعض الأحيـان لم يكن قـادراً على مسـايرة السـرعة فيقـول: إنـني عـاجز عن الكتابة بالمرة، فيعيد الجمال الأبهى عليه الآيات كما نزلت.

_ 120 _

طلب الجمال المبارك مرة من أخي الحاج ميرزا بزرك أن ينسخ قصيدة حضرته (عز ورقائيه) المنزلة في السليمانية، وعندما اتمّ العمل وقـدّم النسـخة أثـنى عليه بهاء الله وأهداه مقلمة مصنوعة في أصفهان ومعها محبرة فضية.

_ 121 _

في اليوم التالي حظيت بنعمة دعـوتي بمفـردي لمحضر الجمـال الأبهى، وخلال الزيارة قال لي:" لقد طُلب من الميرزا يوسف خان والسيد أسد الله الإشــراف بكل حرص على دروسك وخطـك". وبيديه المبـاركتين قـدّم لي زجاجة من مـاء الورد وقال:" إنها من **قمصر** بكاشان واستغرقت أربعين يوماً حتى وصلت إلى هذا البلـد". ثم أضـاف :" مـاء الـورد هـذا قد خلقه الله ليـوم كهـذا وهوسـلطان الأيام".

وظل الحاجُّون إلى بيت الباب في شيراز يستعملون تلك الزجاجة من ماء الورد حتى وقت قريب.

_ 122 _

أُبلِغنا ذات مســاء أن الجمــال الأبهى ينــوي زيــارة حديقة " الجنينة " في اليــوم التالي وهو يدعو الزائرين والأحباء للحضور .

تجمّعنا قـرب القصر قبل شـروق الشـمس ثم تشـرّف الجمـال المبـارك. ركب حضـرته على حمـار أبيض هـادئ الطبع أحضـره له من كاشـان اثنـان من احبـاء كاشان هما آقا محمد هاشم وآقا غلام علي. بدأنا في السـير وحمل أحد الأحبـاء المحليين (غير الزائرين) واسمه الحاج خاور وكـان طويل القامــة، حمل مظلة

ليحمي الجمال الأبهى، وكان الطقس لطيفـاً منعشـاً. في تلك اللحظة تـذكرت أبياتاً من الشعر لحافظ يقول فيها:

فيا نسيم الفجر العابق اليوم
ها هو الآن محبوبي في الحقول

وصـلنا الحديقة وتمتعنا بكـرم الضـيافة خاصة وأن الحديقة كـانت جميلة تبعث السرور في النفس ؛ فالجو معطر بعبق الزهـور والطيـور تغـرد بألحانها العذبـة. كـان الجمـال الأبهى في ذلك اليـوم في غاية السـرور والابتهـاج، وغمر الأحبـاء ببركاته وأفضـاله وأخذ يتحـدث بعد الغـداء إلى ذلك الجمع الربّـاني ، وفي ذلك الوقت تقريباً وصل الغصن الأعظم (عبد البهاء) .

" إن المـولى قـادم – أعلن بهـاء اللـه- فلـنرحب بـه" وبتواضع لا يوصف دخل عبدالبهاء المحضر الأنور وجلس . التفت الجمال المبارك إلى عبد البهاء وقال:" منذ الصباح وحتى هذه اللحظة لم تبدُ الحديقة بالجمـال الكـافي ، أما الآن ومع قدومكم فقد أصبحت أكثر إبتهاجاً، يا ليت حضرت في الصباح ".

أجاب عبد البهاء بأن المتصرف وبعض أهالي عكاء من المقرر أن يحضروا وكان عليّ أن استقبلهم وأقوم بواجب الضيافة.

علّق الجمال المبارك مبتسماً: " إن الغصن الاعظم قادر على تحمل تلك الأعباء وتوفير الراحة للأحباء ، فليحفظه الله من كل حاسد عنيد ".

ثم أخبرنا بيومٍ أن كان في بغداد عنـدما طلب منه سـائلٌ صـدقةً ، ولما أعطـاه حضـرته قطعة نقـود رد السـائل قـائلاً: أعانك العبـاس دومـاً. (وهو أخ الإمـام الحسين من أبيه) . " لقد كـانت دعـوة مباركه " هـذا ما قاله بهـاء الله مشـيراً إلى عبد البهاء عباس .

مجمل القول، لقد شملت الأحباء في ذلك اليوم عناية اسـتثنائية، ذلك لأن بهـاء الله كان في سعادة لا متناهيـة. وقبل الغـروب بسـاعة عـاد بهاءالله الى القصر وكنا جميعا في معيته وعند الباب الخارجي افترقنا وغادرنا.

_123_

بلغ المســافة بين قلعة عكا وقصر البهجة حــوالي خمسة كيلومــترات، وعندما تصل حديقة **جمال** القريبة منه كنت تـرى القصر من بعيـد، وكلما كـان عبد البهاء يقترب من القصر اعتاد أن يترجل في ذلك المكان إذا كـان راكبـاً ثم يتابع سيره ماشياً بمنتهى الخشوع بقية المسافة إلى القصر. وذات يوم تشـرف جميع الأحباء في الأرض الأقدس بمحضر الجمال المبارك في قصر البهجة، من ضـمنهم الأغصـان وأحبـاء معروفـون مثـل: النبيل الاعظم ، الأفنـان الكبـير ، أقا رضائي الشيرازي ،أستاذ محمد علي سلماني، مشكين قلم ووالـدي وأقا محمد حسن المسئول عن رعاية بيت الزائرين. فجأة استدار بهاء الله نحو سهل عكاء وقال: " إن المولى قـادم، فـاذهبوا ورحّبـوا بـه:. هرعنا جميعـاً لتحيته ثم رجعنا معه إلى غرفة الجمال المبارك.

كان الجمـال الأبهى في أواخر أيـام حياته غالبـاً ما يتكلم عن الميثـاق وأهميتـه، وفي ذلك اليوم بالذات وجّه تحـذيرات صـارمة إلى نقض العهد والميثـاق، وفي منتصف حديثه أشار إلى الغصن الأكبر (ابنه المـيرزا محمد علي الـذي نقض الميثاق فيما بعد) وأكّد قائلاً:" لو أن أحداً من أغصاننا انحرف آناً عن ظل الأمر سيكون عدماً صرفاً ". خرجت هذه العبارة بقوة أرهبت الحاضرين بخشيتها .

وبينما كنا في محضر بهـاء الله في اليـوم التـالي دخل المـيرزا ضـياء الله (أحد أبناءه) ليقول: إن الآغا (المولى) يود أن يعرف أذا كنت تأذن لنا وبعض الأحباء

في زيارة الجنينة . فسأله بهاء الله عمن أرسله بهذا المطلب ، ولما علم بأنه الغصن الأكبر ردّ بلهجة قوية واضحة:" ليس في الوجود إلا مولاً واحداً والآخرون لهم اسماؤهم . إن المولى هو الغصن الأعظم ولا أحد غيره وهوالذي تطوف حوله الأسماء ".

_ 124 _

تجمّعنا ذات يوم في حديقة الرضوان بعد الظهر والمطر ينزل رذاذاً والطقس لطيف منعش. أعاد الجمال المبارك إلى الأذهان ذكريات الأيام التي قضوها في بغداد والأذى الذي ألحقه بالأمر الإلهي أخوه غير الشقيق ميرزا يحيى وأعوانه.
وذكر بهاء الله في حديثه بأن كثيراً من العلماء أتوا لزيارته في تلك الأيام وتوجّه إلينا أحدهم وسألنا: " من أين أتيتم؟ فأجبناه " من " **عما** " (وهو تشبيه يرجع إلى الجنة) فقال : ما نوع هذا المكان وأين يقع ؟. أجبناه:" إن ل **"عما"** طقس رائع كالجنة ؛ أشجارها باسقة دانية القطوف، خضراء تسرّ الناظرين، أنهارها جارية وهي مجمع الروحانيين". فسأل أحد الرجال: وهل يمكننا الذهاب إليها أيضا؟ فأجبته :" لا ، هذا غير ممكن، مكان كهذا لا يصلح لك".
وفي وقت لاحق من ذلك اليوم تفضل قائلاً:" قبل مغادرتنا بغداد دخلنا حديقة النجيبية ومكثنا فيها اثني عشر يوماً، وكان يحضر في كل يوم أناس لوداعنا من بينهم عدة علماء قال أحدهم: كنا ننتظر المهدي فادّعى سيد من شيراز هذا المقام وآمن به البعض (مشيراً إلى الباب) ، ثم توقّعنا ظهور الحسين، وأنت الآن تدّعي أنك هو ، فماذا ستكون عليه مهمّتنا الآن؟. وفي اليوم نفسه حددنا لهم مهمتهم وقلنا:" واجبكم أن تتمحّصوا بكل دقة في كتب قيّمة مثل **شرح اللّمع** (كتاب رئيسي في فقه الإمامية) وكتاب **سيبويه** (الواضع الشهير لقواعد اللغة العربية) لعلكم تتقدمون بعدها نحو مقركم الروحاني . "

_ 125 _

وفي مناسبة أخرى رجع بهاء الله بذاكرته إلى أيامه في بغداد فيما يتعلق بظلم وطغيان الشيخ عبد الحسين الطهراني (أنظر رقم 34) حيث ذكر : مهما حاول الشيخ أن يطفئ نور الأمر الإلهي بدعم من ناصر الدين شاه والسلطان عبد العزيز فلم يستطع. إن أمر الله ينشر نفسه بنفسه إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وعمّا قريب ستشاهدون زوال النظام القديم وتروْن أمم الأرض مجتمعة تحت هيكل أمر الله .
بعد ذلك حكى لنا عن زيارة لرئيس ديني كان طويل القامة ممتلئ الجسم يلبس عمامة ضخمة ولحيته طويلة بشكل غير عادي. يقول بهاء الله:" بعد أن حيّانا جلس وأخذ يقرأ بصوت عالٍ بعض الكتابات المُبهمة باللغة العربية. قلت له: " هلاّ عرّفتنا بنفسك ، لعلّ نعرفك؟". أجاب الزائر: أنا خاتم المجتهدين. معطيا لقبه وليس اسمه. فقلت له: " إنشاء الله إنشاء الله " عدة مرات.
كان الجمال المبارك في ذلك اليوم في سعادة غامرة ودائم التبسّم.

_ 126 _

وصف لنا الجمال المبارك مرة كيف نال الملاّ علي السبزواري شرف الشهادة : فأثناء تجهيز الملا السبزواري لتنفيذ حكم الإعدام ، طلب من جلاده أن يقطع أحد أوردته ، فلبّى الجلاد طلبه وقطع أحد أوردة رقبته بالسكين ، وبعد أن تضرّجت لحيته بدمه أمسك بها وتوجه إلى مَن حوله وقال : أيها الناس، لقد

صاح الحسين بن علي في سهل كـربلاء وهو ينتظر الشـهادة " هل من معين! "
وأنا أقول " هل من عيون قادرة على مشاهدة تضحيتي هذه! "
يا لعظمة ما تفوّه به ذاك الرجل، وكررها الجمال المبـارك عـدة مـرات. بدمائه الطاهرة شهد على أحقية هـذا الظهـور ، لقد شـاهده النـاس ولم يتنبّهـوا فتلك هي الشـواهد على عظمة هـذا الـدور. سـتُدَوّن هـذه الأحـداث للآجيـال القادمة لتصبح مصدراً لفخر عظيم.

_ 127 _

دُعينا يومـاً بعد الظهر إلى قصر البهجـة. كـان الجمـال المبـارك واقفـاً وسط الغرفة . أخـذنا في البكـاء بكل حُرقة ثم تفضّـل: " لا تـدَعوا شـيئا يكـدّركم أو يحزنكم، اعلموا حقاً أني معكم على الدوام، فلماذا أنتم مكتئبون **فبورسعيد** قريبة جداً وسوف تسمعوننا حين نناديكم لا تحزنـوا، إن ما كـان مُتاحـاً للأفنـان لم يكن لأي زائر آخر، افرحوا وابتهجوا ففضل الله يحيطكم". ثم جلس حضرته وطلب منا أن نجلس، وبيده المباركة منح كلاً منا لوحاً مباركاً نزّل خصيصاً له. وبهذا انتهت مدة زيارتنا التي دامت تسعة أشهر.
وفي وقت لاحق دعا الجمال المبارك والدتي وأختي لمحضره الأنور ونالتا عنايته الفائضة، ولدى مغادرتهما خطر ببال والدتي لو أن الجمال الأبهى شملها بفضله وأعطاها خاتمه لما تمنّت غـير ذلـك. بعد ذلك وبينما كـانت مع الورقة المباركة العليا (ابنة بهاء الله) دخل أحد الخدام ومعه الخاتم الذي كان يضـعه بهـاء الله وأعطاه لوالدتي وقال: أمرني الجمال الأبهى أن أعطيك هذا الخاتم.
قمنا معاً بوداع الغصن الأعظم وغادرنا عكاء إلى حيفا وبعدها أبحرنا إلى مصر.
(أخذت قصص أقا ميرزا آقا ورفاقه من مذكرات ابنه الحاج ميرزا حبيب الله وأرسلها إلينا حفيده جناب أبو القاسم أفنان)

_ 128 _

كانت عَلِيَّه خانم، ابنة الحاج سيد جعفر أفنان ، تبلغ من العمر ستة عشر عامـاً عندما صَحِبت والدتها والأفنـان للزيـارة بين عـامي 1891 – 1892، وكـانت سعيدة الحظ إذ تشرفت بمحضر الجمال الأبهى عدة مـرات أثنـاء نـزول الآيـات المباركـة. وذات يـوم ذكـرت أمـام سـيدات العائلة المباركة أنها تكـره اسـمها (صغرى) ، وعندما أخبروا بهاء الله بذلك منحها اسم (عليّه) ، وفي مناســبة أخرى مع سيدات العائلة أبـدت أمنيتها أن تحظى بلـوح مبـارك بخط يد الجمـال الأبهى نـازل بحقهـا، وبعد وقت قصـير شـملتها العناية الكـبرى ونـزل لـوح لها باسمها الجديد.
(من أبو القاسم أفنان)

فقـرات ملخصة من مـذكرات أيـادي أمر الله طـراز الله سـمندري الذي تشرف بمحضر بهاء الله وكان له من العمر ستة عشر عامـاً. أمضى في عكا ستة أشهر قبل صعود حضرة بهاء الله في 29 مايو/ أيار 1892 ثم شهراً بعده :

_ 129 _

كان أول تشرف لجناب سمندري بمحضر بهاء الله في بيت عبود ، وهـذا وصف لزيارته:

عندما دخلت غرفته، كان الجمال المبارك يجلس على الديوان، وما أن انحنيت أمامه حتى سقط الطربوش من على رأسي، فأمسكه بيديه المباركتين وأعاده على رأسي وقال:" مرحبا". أخذت أرتعش حتى أني فقدت السيطرة على نفسي، ثم دعاني للجلوس وقدم لي أحد الخدام الشاي بناء على أمر حضرته واستطعت بالكاد أن أمسك بالفنجان لشدة رعشتي .
" بسم الله بسم الله " (بمعنى تفضل) هي عبارة كررها بهاء الله عدة مرات داعياً إياي أن أشرب الشاي، ولكني كنت عاجزاً تماماً. سألني حضرته عن صحة والدي وبعد ذلك منحني الاذن بالمغادرة.

_ 130_

في أحد الأيام عند الغروب تشرفت بمحضر بهاء الله. كان مشغولاً بالإجابة عن أسئلة شخص كان حاضراً في القصر، وبعدها كنا محطّ عنايته الفائضة فخاطبني باسم " طراز أفندي " وقبل ذلك اليوم كان قد أرسل لبهاء الله صندوق من التمر من البصرة، تناول حضرته حبّة وأكلها وأعطاني ملء يده تمراً، ثم وضع يديه المباركتين مرة أخرى في الصندوق، وهنا رفعت طرف عباءتي لاتمكّن من أخذ الكمية فقال لي:" لا تأكل كثيراً لأنه قد يؤذيك، فهذا المكان هو السجن الأعظم ". وأخذ يوزع ما في يديه المباركتين على الحاضرين. وأخيراً تركنا لحفظ الله ورعايته وسمح لنا بالمغادرة

_ 131 _

كان لي شرف العناية الكبرى أن أحظى بمحضر بهاء الله في قصر البهجة في مناسبتين منفصلتين أثناء نزول الآيات المباركة حيث كنت وكاتب وحيه فقط. مرة كان ميرزا آقا جان هو الذي يكتب التنزيل، وفي الأخرى كان أحد أفراد العائلة المباركة (أحد الأغصان).
وبينما كان الجمال المبارك يخطو جيئةً وذهاباً أثناء تنزيل الآيات استطعت أن أشاهد كامل الجلال والعظمة والسلطنة والجبروت الذي بان على محيّاة الجليل، وكان وجهه يشع نوراً وغالباً ما كان يومئ بأصابعه ويتجه بنظره الثاقب صوب البحر من وقت لآخر ثم يتوقف ويأخذ رشفة من الماء كلما جفت شفتاه.
كانت الآيات تخرج باللحن أحيانا وبالقوة والهيمنة أحياناً أخرى، فالدعاء مثلاً كان يُرتَّل بأحلى الألحان بينما الآيات تنزل بالقوة والعظمة والجلال. كان ميرزا آقا جان يكتب بسرعة فائقة وأرض الغرفة مغطاة بالأوراق المتناثرة.

_ 132 _

تذكّرت يوم أن كان الجمال المبارك يلبس **السارداري** الكشميرية المبطّنة بالفرو الناعم وأكمامها أقصر بقليل من اللباس فوقها. رأيته مرة واحدة خلال فصل الشتاء يرتدي هذا اللباس.
كان شعره المسدول حالك السواد وكذلك لحيته بينما كانت العادة آنذاك أن يُصبَغ الشعر بالحِنَّة .
لم أره بدون التاج ولو مرة واحدة . كان تاجه أخضر وأطول من العادي يلتف حول محيطه من الأسفل قماش أبيض من النوع الفاخر.

_ 133 _

كــان لي شــرف الحضــور بمحضر بهــاء الله ثلاث مــرات قــرب المســاء في فســطاطه (خيمته الكبــيرة) المضــروب إلى الشــمال من القصر وسط بقعة واسعة من شجر الخشخاش المنثور الأحمر. ففي إحداها قُـدم الغـداء للزائـرين وكان جمال القدم يجلس على كرسي الشرف وكرر طلبه للزائرين أن يجلســوا بالرغم من أن المكان لا يتسع لمزيدٍ من الكراسي فجلس بعضهم على الأرض. جلس آقا جـان وسط الجمع مقـابلاً للجمـال المبـارك يرتل المناجـاة والآيـات المباركة بنـاء على طلب حضـرته الـذي كـان من وقت لآخر يتوجه للحاضـرين بكلماته.

_ 134 _

في يوم آخر من تلك الأيام الثلاثة كنت واقفـاً داخل فسـطاط بهـاء الله موجهـاً وجهي نحوه، ولما كنت غير قادر على سماع صـوته بوضـوح انتقلت إلى الجـزء الداخلي حيث منطقة التخزين وأصبحت بذلك قريباً نوعـاً ما من مكـان جلـوس بهـاء الله . كنت لوحــدي في ذلك المكــان واســتطعت، ليس أن أحظى بطلعته المباركة بشكل رائع فحسب، بل أن اسمع ما ينطق به بوضوح تام .
انتهى الاجتماع ووُزّع البرتقال على الحاضرين ثم نهض الجمال الأبهى من مكانه ، فأســرعت إلى البـاب الـذي سـيخرج منه ووقفت كالصـنم مـادّاً ذراعيَّ على طرفيه. في تلك اللحظة وقعت عيناه عليّ ثم أعطاني حبة البرتقال التي كــانت في يــده وقــال :" مرحبا ". وأذِنَ لي بالمغــادرة واســتمر ماشــياً نحو القصــر. وحالما علم الشباب هناك بـأنني تلقيت من يـدي بهـاء الله برتقالة هجمـوا عليّ ليخطفوهـا، إلا أنـني قضـمتها كاملة وأنا أهـرب عنهم مسـرعاً ولم أُفـرّط ولو بقطعة صغيرة.

_ 135 _

في يوم الاحتفال بالنوروز شرّف الجمـال المبـارك **الجنينة** وأذِنَ لبعض الأحباء المقيمين والزائرين أن يتشـرفوا بمحضـره. كنت قد ذهبت إلى حيفا في اليوم السابق مع بعض الأحباء بقصد النزهة عنـدما فاجأنا خـبر بوجـوب الرجـوع فـوراً والتوجّه للجنينة لزيـارة الجمــال الأبهى. ركبنا في الصــباح عربة ووصــلنا البهجة ثم توجهنا إلى الجنينة . كان ذلك اليوم فعلاً أكثر الأيـام بركـة، ومن بين الحضور كان جناب النبيل الأعظم وجناب العندليب وهما من الشـعراء البهـائيين المرموقين حيث نظما شعراً لتلك المناسبة المهيبة.
حظيت بعناية بهــاء الله في ذلك اليــوم حيث خصَّــني بهدية أرســلها مع أحد الخدام وهي عبارة عن طقم من الملابس (لباس الشـرف) مكـوّن من عبـاءة من الحرير وقميص واحد ولباس داخلي وشال قطني وزوج من الجـوارب. كـان الطقس رائعاً للغاية. ففي النهار ينزل المطر رذاذاً ثم تسطع الشــمس ، وكنا نــرى أشــجار الجنينة مثقلة بالفاكهــة. تناولنا الغــداء في هــذه الحديقة العابقة بالعطور والجمال المبارك في غرفة مجاورة . وعند الغــروب، تحت رذاذ المطر والأرض موحلة بعض الشئ، ركب الجمـال الأبهى الحمـار الأبيض وبعض الأحبـاء يرافقوه مشياً على الأقدام نحو قصر البهجة .

_ 136 _

في صـباح اليـوم الأول من عيد الرضـوان تشـرّفت وثلاثة من الأحبـاء بمحضر بهــــاء الله في غرفته بقصر البهجــــة، وكنا قبل ذلك بقليل قد تناولنا البقلاوة في الطابق السفلي للقصر.

كـان جمـال القـدم جالسـاً على الـديوان وجلسـنا نحن على الأرض، وبعد أن قُدِّمت لنا الشاي بـدأ حضـرته في تلاوة لـوح السـلطان(الموجّه للشـاه) ببـالغ العظمة والجلال ولمدة نصف سـاعة، وكـان أثنـاء ذلك يحـرك يديه تـارة ورجليه تارة أخـرى وفي حالة أعجز عن وصـفها. خـاطبني حضـرته بعد ذلك قـائلاً :" يا طراز أفندي ، قم واعط كل حاضر واحدة من الزهور"، وكانت قد وَصَلتْ باكراً باقــات الزهـور من الجنينة ثم نُثِـرت على ملاءة على الأرض، فقمت وقـدّمت زهرة لكل واحد ثم قال لي حضـرته:" أعطنا حصـتنا بالمثـل" فأعطيته وردة ثم قال :" خذ واحدة لك " وبعد أن أخذت وردة قال: " في أمان الله" ثم سـمح لنا بالمغادرة.

_ 137 _

في أحد أيـام العيد الأعظم، عيد الرضـوان، شـرّف الجمـال المبـارك حديقة الرضوان وكان لي وجمـع من الأحبـاء أن نحظى بمشـاهدة طلعة رب العـالمين في هـذا الفـردوس الأعلى الأبـدي. قـام جنـاب العنـدليب، الشـاعر البهـائي المرموق، وألقى شعراً من نظمه. كـان الجمـال الأبهى واقفـاً بشـرفة المبـنى في الحديقة ينظر إلى هـذا الجمع المفعم بالحماسة والـذي اصـطفّ لمشـاهدة طلعته المباركة. بعد ذلك تفضل وأعطى كلاً منا شـيئا من مـاء الـورد والحلـوى والبرتقـال، كما منح جنـاب العنـدليب على شِـعره زجاجة من عطر **القمسار** وبرتقالتين.

_ 138 _

خلال تلك الأيام حظيت بعدة زيارات لعبد البهاء الغصن الأعظم وشملني بقدرٍ لا حـدّ له من اللطف والكـرم، ونـزولاً عند رغبته كنت أتـدرّب على الخط وأقلِّد بعض النماذج . ذات يوم والطقس حار جداً كنت أرتدي الملابس الخفيفة وعاري الرأس منكبّاً على الكتابة. وأنا كذلك إذا بالغصن الأعظم يـدخل الغرفـة، فانتصـبت واقفـاً ووضـعت عبـاءتي وقبّعـتي وحيّيتــه. كـان في الغرفة أيضـاً المؤمنون والأحباء المقيمـون في دار الضـيافة نفسـها، خـان العواميـد. تفحّص عبد البهاء ما خططته بيدي ثم اطرى عليّ .

_ 139 _

ذات يوم والمطر يـنزل خفيفـاً قـال لي عبد البهـاء:" هلمَّ بنا نـذهب إلى قصر البهجة ونحظى بمحضر الجمال المبارك، وأضـاف : إنها تمطر فهل لـديك مظلـة؟" فأجبته بـأن المظلة في دار الضـيافة ، فقـال : " سـننتظر عند البوابة واذهب أنت وأحضــرها". ذهبت مســرعاً وتنــاولت المظلة وعــدت إلى حيث ينتظـرني عبد البهـاء قـرب البوابـة. أخذ المـولى يسـير بكل رشـاقة حـتى بلغنا القصر وحظينا بالمحضر الأنور.

_ 140 _

مرّ أسبوعان ولم أحظ بمحضر بهـاء اللـه، فقـررت يومـاً أن أذهب إلى قصر البهجة. وهناك رأيت فتاة صغيرة كانت ابنة أحد المقيمين الأحباء وصـادف وجودها فسألتها عما إذا كان أحد في محضر الجمال الأبهى فردّت بـأن حضـرته لوحده ويخطو جيئةً وذهاباً فقلت لها : اذهبي لبهاء الله وقولي له بأن (طـراز) لم يحظ بمحضرك المقدس منذ اسبوعين ويطلب الإذن بالتشرف. نقلت الفتـاة مطلبي ورجعت برد حضرته يقول : بسم الله، فليتفضل.
دخلت محضره وأنا في حالة ذهنية يصعب وصـفها. حيّـاني قـائلاً:" مرحبا طـراز أفندي"، ثم تقدّم نحوي وسألني عن صـحتي وهو يتلمّس شـعري ووجهي. وبعد قليل أضاف قائلاً:" شكوت أنك لم تـدخل محضـري، فهل زرت الغصن الأعظم في المدينــة؟ ". أجبته : نعم، وفي ذلك اليــوم حظيت بمحضــره طيلة النهــار والليل . عندها قال بهاء الله:" لماذا شكوت إذاً؟، وعلّق مضيفاً:" مكان إقامتك الأول هنا والإذن بالزيــارة ممنــوح لك وقتما تشــاء ولأجل راحتك جهّزنا لك دار الضيافة".
بعد ذلك قدَّم لي حضرته بعض الحلوى وأَذِن لي بالمغادرة.
(من ذكريات أيادي أمر الله جناب سمندري مرسله من قبل ابنه د. مهدي سمندري)

_ 141 _

ما كان يثلج صدر عبد البهاء أن يرى والده الجمـال المبـارك ينعم بفـترة من الراحة، بعد طول سنوات من العنـاء والشـدة، تحت شـجرة التـوت قـرب جدول الماء الذي يمر في حديقة الرضوان الجميلة. فالعَبَق الفـوّاح من الزهـور والشجيرات ورافة الظل متعددة الألـوان وصـوت مـاء النـافورة والهـواء العليل وخاصة بحضــور بهــاء الله ، كل ذلك ينعش الأرواح ويســمو بكل من يحظى بمحضره الأنور. كانت الفرحة الكبرى لدى أطفال العائلة المباركة أن يذهبوا مع بهاء الله للتنزه في الحديقة، فكان لهم الأب الآخر الذي يرعاهم بمحبته ويأتون إليه بمشاكلهم الصغيرة.

كــان الجمــال المبــارك يهتم بكل ما يتعلق بالأطفــال خاصة نظــافتهم ونظامهم وانضـباطهم، وكل متعة وسـعادة يشـعرون بها في تلك الأيـام الرتيبة كان حضرته مصدرها، وعندما كانت تأتيه صناديق الحلـوى كـان يقـول مازحـاً:" خــذوا منها جــزءاً للأطفــال قبل أن يوزعها المــولى كاملــة". وكــان حضــرته يستدعيهم أحياناً ويوزع عليهم الحلوى. وعندما كان يحين موعد النوم ، ورغمــاً عن رغبة والديهم ألا يزعج الأطفال بهاء الله، غالباً ما كان يرحب بهم بعبــارات الحب والحنان . وعندما كان يقول لهم :" غـداً يا أطفـال سـوف تـأتوا معي إلى حديقة الرضوان "، كانوا يطيرون فرحاً وبالكاد ينامون تلك الليلة.
بلومفيلد ص 97 – 98)

_ 142 _

يستذكر الجمال المبارك فترة حبسه في سـياه جـال ويقـول:" كـانت السلاسل الــتي وضــعت حــول رقبتنا من الثقل بحيث يصــعب حملهــا(وأثقل سلســلة استعملت كـانت تزيد عن خمسـين كيلوغرامـاً) ، وما فـاقم الوضع سـوءاً ربْط إبهام اليدين معاً خلف الظهر. كـان الحـراس الملكـيين متزمـتين، أما الجلادون فعاملونا باللطف وقدّم لي أحدهم الشـاي وشـيئاً من العنب ولم أسـتطع قبولها لأنني كنت مكبّلاً بالسلاسل ويداي موثقتان".

استمر حضرته في التذكر قائلاً:" أينما نُفينا كـانت الصـعاب تلاحقنا بنفس القـدر الذي عانيناه بعد وصـولنا عكـاء، أما الوضع الآن فقد انقلب بالكلية والنـاس هنا يميلـون للوداعة وكـذا الحـال في كل مكـان أقمنا فيـه. ففي البداية كـان الأمر المبـارك مجهـولاً وتحيط بنا الشـدائد ، أما الآن فـإن النـاس في تلك الأقـاليم يظهرون تواضعهم واحترامهم لنا بحمد الله".

(نبيل)

_ 143 _

قـدّم حضـرة ولي أمر الله فيما يلي وصـفاً مـؤثراً الى آخر لقـاء بين الجمـال المبارك وأتباعه :

قبل صعوده بستة أيام كان يستلقي في فراشه على صدر أحد أبنائه فـدعا بكل المؤمنين وبكثير من الزائرين الذين اجتمعوا في القصر. فكان ذلك آخر تشـرّف لهم بمحضره. ولقد خاطب الجمع الباكي الملتف من حوله خطاباً رقيقاً فقال:" إني راضٍ عنكم جميعـاً فلقد أدّيتم خـدمات عديـدة وتحمّلتم المشـقة. كنتم تجـيئون كل صـباح وكنتم تجـيئون كل مسـاء. أيـدكم الله جميعـاً ووفقكم إلى الاتحاد وارتفاع أمر مالك الإيجاد".

(شوقي أفندي – القرن البديع ص 270)

_ 144 _

كان جناب الميرزا إسـماعيل يحضر ذلك اللقـاء الأخـير مع بهـاء الله وسـجل ما يلي:

بعد أن سمعنا تلك الكلمـات انهمـرت الـدموع من عيـنيّ حزنـاً وأسى . في تلك اللحظة طلب مني الجمال المبـارك أن أقـترب منه فأطعتـه، وبالمنـديل الـذي كـان يحمله أخذ يمسح دمـوعي عن خـدّي. وبينما هو كـذلك لمعت في ذهـني كلمات أشعيا الذي قال: " ... ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجـوه ... "

(أشعيا – الإصحاح 25 آية 8)

شرح المصطلحات

العباءة	لباس خارجي
العماء	أشارة مجازية للجنة
أمير النظام	أحد ألقاب رئيس الوزراء – تقي خان
الأندرون	القسم الداخلي من البيت ويخصص للسيدات
عبد البهاء	(1844 – 1921) خادم البهاء . اللقب الذي اتخذه لنفسه عباس أفندي ابن بهاء الله الأكبر وخليفته المعيّن.
آقاي كليم	ميرزا موسى الأخ الأصغر الوفيّ لبهاء الله
الباب	(1819 – 1850) لقب اتخذه لنفسه الميرزا علي محمد بعد إعلان دعوته في شيراز 1844
البابي	من أتباع الباب

بدشت	قرية على حدود مازندران عقد فيها مؤتمر دعا إليه وأداره بهاء الله عام 1848 وفيه تأسس استقلال أمر الباب.
بهاء الله	(1817 – 1892) وهو لقب الميرزا حسين علي الذي أعلن دعوته في بغداد في إبريل/ نيسان 1863 . أنظر المقدمة.
بهائي	من أتباع بهاء الله
بفرمائيد	المعنى الفارسي ل بسم الله
بيروني	القسم الخارجي من البيت ويخصص للرجال
بسم الله	تستعمل بالعربية بمعنى تفضل
في أمان الله	فلتكن في حفظ الله وتعني منح الإذن بالمغادرة
الغصن الأعظم	لقب عبد البهاء
ولي أمر الله	أنظر شوقي أفندي
حديث	حديث نبوي شريف
حظيرة القدس	مركز رسمي يضم النشاطات الإدارية البهائية
حقوق الله	مبلغ يدفعه البهائيون مقرر نصابه في الكتاب الأقدس
إن شاء الله	إن شاء الله
مرحبا	برافو- عفارم- أهلاً
المجتهد	متفقّه بالشرع الإسلامي
المتصرّف	الحاكم في المنطقة
محرّم	أول أشـهر السـنة الهجرية الإسلامية ، وفي الأيام العشـرة الأولى منه يحتفل الشيعة بذكرى استشهاد الإمام الحسين.
نبات	سكر إيراني على شكل قطع
نيريز	حادثتـان وقعتا في نيريز بإقليم فارس عـامي 1850 ، 1853 ، حيث اضـطر البـابيون إلى اتخـاذ مراكز دفاعية للتصـدي لهجـوم القوات الحكومية فائقة العدد . هزم البـابيون فيهما نتيجة الخديعة ثم عذبوا ونُكِّل بهم وعوملت نساؤهم وأطفالهم بغاية الوحشية
القباء	قفطان يصل إلى حد الكاحل مفتوح من الأمام يرتديه الرجال فقط
القائم	من يُظهره الله وهو الموعود الذي ينتظره الشيعة في الإسلام
السارداري	نوع من السترة الطويلة ذات الكشكشة عند الوسط وبها أزرار متقاربة وياقة مفردة
الشيخ طبرسي	واقعة دافع فيها (313) من البابيين عن أنفسهم مدة سبعة أشهر من أكتوبر/تشـرين الأول 1848 – مـايو/ أيـار 1849 داخل قلعة شـيدت على عجل بـالقرب من ضـريح، وكـانت على بُعد أربعة عشر ميلاً (حـــوالي 21 كيلومـــتراً) جنـــوب شـــرق بارفروش. لم تستطع قوات الحكومة ، المتفوقة عدداً، هـزيمتهم إلا بعد اللجـوء للحيلة والخـداع. كـان من ضـمن المـدافعين عن القلعة تســعة من حـــروف الحي الثمانية عشر (أول حـــواريي الباب) استشهد معظمهم بما في ذلك الملا حسين والقدوس. لقد وصف ولي أمر الله هذه الواقعة على أنها من " أندر الظواهر في التاريخ المعاصر".
شوقي أفندي	(1897 – 1957) حفيد ابن بهاء الله . عيّنه عبد البهاء في ألواح وصيته وليّاً لأمر الدين البهائي وخليفته من بعده

سياه جال	ســـجن في طهـــران تحت الأرض حيث حبس فيه بهاء الله مـــدة أربعة أشهر مكبّلاً بالسلاسل الثقيلة عام 1852 مع بعض أصـحابه من البابيين وبين 150 من المجرمين. وفيه أعلن بهـاء الله دعوته السرية في ظروف قاسية يعجز القلم عن وصفها
التاج	لباس للرأس طويل مصنوع من اللباد . جمع تاج تاجهاء
التومان	وحدة النقد الإيرانية

المراجع

عبد البهاء	مكاتيب عبد البهاء- القاهرة- فرج الله زكي الكردي 1921 المجلد الثـالث – مـذكرات المؤمـنين – مـترجم ومـدون من قبل مرضـيه غيـل- وِلمت- إلينـوي – دار النشر البهائيـة- الطبعة المعـادة عـام 1981

بهاء الله رسالة ابن الذئب- ترجمة شوقي أفندي – ولمت- إلينوي – دار النشر البهائية طبعة منقحة 1976

كتاب الإيقان ترجمة شوقي أفندي- ولمت – إلينوي – دار النشر البهائية – طبعة منقحة 1974

ليدي بلومفيلدســـتاري خـــانم – الطريق المختار – ولمت – إلينـــوي- دار النشر البهائية 1967

فاضل المازندراني ظهور الحق- طهران- دار النشر البهائية عام 131 بديع الموافق 1974 المجلد الثامن الجزء الأول

محمد علي فيضي لآلئ الدرخشان- تعقيب على رسالة ابن الذئب ولوح السلطان- طهران – دار النشر البهائية 123 بديع الموافق 1966

الحاج ميرزا حيدر علي بهجت الصدور – بومباي 1913

عبد الحميد إشراق خاوري رسالة الأيام التسعة – تاريخ الأيام التسعة المقدسة مع تجميع للألــواح الخاصة بهــا- طهــران – دار النشر البهائيــة- الطبعة الثالثة 121 بديع الموافق 1964

نبيل أعظم محمد الزرندي- مطالع الأنوار- تاريخ النبيل للأيام الأولى للظهور البهــائي- ولمت- إلينــوي – دار النشر البهائية 1932 ودار النشر البهائية – لندن 1953 (أشارة الصفحات تنسب إلى طبعة لندن)

شوقي أفندي GOD PASSES BY ولمت – إلينوي – دار النشر البهائية- أعادة الطبع 1974

عزيز الله سليماني مصابيح الهداية- طهران- دار النشر البهائية المجلد الأول 104 بــديع الموافق 1947 والمجلد الســابع 129 بــديع الموافق 1972

محمود الزرقاني كتاب بدائع الآثار- رحلات عبد البهاء في الغرب- بومباي- المجلد الثاني 1921

وللاطلاع على خلفيــات هــذه القصص وتــاريخ حيــاة بهــاء الله يمكن للقــارئ أن يرجع إلى الكتب التالية:

H.M. Balyuzi, Baha`u`lla`h, The King of Glory and Eminent Baha`is in the Time of Baha`u`lla`h;Adib Taherzadeh, The Revelation of Baha`u`lla`h(four volumes); and David Ruhe, Door of Hope. (All are published by George Ronald Publisher Ltd.)